

الشاه ولي الله الدهلوي

وحجة الله البالغة



الدكتور تاج الدين المناني

قسم اللغة العربية، جامعة كيرالا، ترفاندرم، كيرالا

مطبعة سليخة

دار الهداية، وينغود، ترفاندرم، كيرالا، الهند - ٦٩٥ ٣١٣

٢٠١١م - ١٤٣٢هـ

SHAH WALIYULLAHI DAHLAWI

(Arabic)

Dr. A S Thajudeen Mannani

Dept. of Arabic, University of Kerala, Thiruvananthapuram, Kerala

Published by:

Sulaikha Publications

Dar al-Hidaya, Vengode

Kudavoor Post – 695 313

Thiruvananthapuram, Kerala, India

Ph: 0471-2427 141 / 0944 6827 141

الفهرس

المقدمة << ٥

الشاه ولي الله الدهلوي: حياته وأفكاره << ٩

حياة الشاه ولي الله الدهلوي << ١٠

أعمال الشاه ولي الله الدهلوي << ١٦

فلسفة الشاه ولي الله الدهلوي << ٢٣

أفكار الشاه ولي الله الدهلوي << ٢٤

مصادر أفكاره << ٤١

حجة الله البالغة << ٤٧

المضمون في الحجة ومنهجه فيها << ٥٠

القيمة العلمية للكتاب << ٥٧

الأخلاق في أعمال الشاه ولي الله الدهلوي << ٧٤

بعض وجوه الأخلاق في الحجة << ٧٩

أبواب مبحث السعادة << ٨٥

الخاتمة << ٩٢

المصادر والمراجع << ٩٨

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم O نحمد الله ونستعينه ونستغفره ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلله فلا هادي له O أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيّدنا محمدا عبده ورسوله O الصلاة والسلام على سيد المرسلين وصاحب الرسالة العظيمة محمد وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان ودعا بدعوتهم إلى يوم الدين O

أما بعد، فلا يخفى على الجميع أن الله سبحانه وتعالى أوجدنا على وجه هذه البسيطة لتحقيق العبودية المطلقة له تعالى قولاً وعملاً وفعلاً واعتقاداً وسلوكاً ومنهجاً. وأمّرنا بالتزام ذلك والتمسك به والدعوة إليه باللسان والسنان والحجة والبيان. وطلب منا سبحانه الوقوف بقوة المؤمنين وحزم الصادقين في وجوه الضالين والمنحرفين ومواجهة الداعين إلى اتباع خطوات الشيطان الرجيم.

هذه محاولة متواضعة^١ لدراسة حياة الإمام الدهلوي وأعماله وأفكاره وفلسفته، لاسيما ما جاء في كتابه المشهور 'حجة الله البالغة'

١ وثمة اهتمام كبير بهذا الموضوع في العصر الحديث لأنه بعد حادثة ١١ / سبتمبر يُنظر إلى الإسلام بعين الشبهة والشك والارتياب. ويمكن أن نشير إلى أن هذا العصر يشبه عصر الإمام الدهلوي،

الذي اختار الإمام الدهلوي اسمه من قول الله تعالى: 'قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ' (٦:١٤٩).

كان الشاه ولي الله الدهلوي إمام الفكر في عصر انحطاط المسلمين، ومفكرا فيلسوفا وداعيا مجددا وعالما صوفيا ومفسرا نابها ومحدثا فقيها. وكان محبا للحكمة يألفها وتألفه. وكان الإمام الدهلوي عارفا بتحديات العصر حينما شمر عن ساق الجد للقيام بهذه المهمة العظيمة من تدوين الشريعة الإسلامية على أساس المصالح المرعية للأحكام. فقد زود نفسه بالفكر وقوة البيان معا. وكان يعرف بأن القيام بمثل هذه المهمة الشاقة مثل الركوب على متن الليث. فقد استخدم مثلا، فقال: «ومن المثل السائر في الوري: 'ومن الرديفُ وقد ركبْتُ غضنفرًا'»^٢

وهو القادر على النهوض بهذه المهمة الصعبة، ورأس العلماء وحكيمهم. ولد في بيت علم ودين. قال الكتاني: «إن هذا الرجل من أفراد المتأخرين علماً وعملاً وشهرة، أحيا الله به وبأولاده وأولاد بنته وتلاميذهم الحديث والسنة بالهند بعد مواتهما^٣، وعلى كتبه وأسانيده المدار في تلك الديار. والمترجم والله جدير بكل إكبار واعتبار»^٤. وتتميز كتبهم بميزات لم تتوفر في مؤلفات أحد من العلماء الهنود مثل عميق الفكر وغزارة العلم وسعة الاطلاع وفصاحة اللغة وعذوبة الأسلوب وسهولة البيان. ويبدو الدهلوي في الحجة محدثا متمكنا وفتيها متعمقا وفيلسوبا متأملا وأديبا متضلعا وصوفيا متنسكا وباحثا متدققا.

لأن انحطاط أحوال المسلمين قد وقع في هذين العصرين بسبب الملوك المسلمين وأمراء الأمة المسلمة، وإن كان هناك ملوك المغول فهنا ملوك البلاد الإسلامية والعربية.

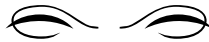
٢ الإمام الدهلوي: حجة الله البالغة، كتب خانة رشيدية، دلهي، ١٣٧٣هـ ص: ١ / ٣.

٣ الشاه ولي الله أحمد وأبوه عبد الرحيم الدهلوي

٤ عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني: 'فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشخات والمسلسلات' (المحقق: إحسان عباس)، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ١٩٨٢م - ١ / ١٧٨.

وقد بذل الإمام الدهلوي جهوده لتنمية عقول المسلمين بإظهار أسرار الشريعة. لأنه قد آمن بأن النجاة في الدنيا والآخرة لا تحصل إلا بالأعمال الصالحة. فظهر له بأن الشك والريب في الشريعة الإسلامية يخامر عقول المسلمين في عصره. وأن الأمة الإسلامية تخلفت عن انجاز وعد الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم. فحزن الإمام الدهلوي بسبب أحوال الأمة. فعزم على أن ينهض بحال هذه الأمة. لأن يؤمن بأن المسلمين سوف يرجعون إلى الإسلام كاملاً لما تفهّموا الإسلام حق الفهم. ذلك أن سبب الانحطاط هو جهل الأمة بدينها. فتهيأ لدعوة الناس إلى الإسلام مع بيانه أسرار الشريعة للناس. وجهّز قلمه لهذا. فظفر به وفاز فوزاً عظيماً. ولما تهيأ الدهلوي أفاض الله عليه التوفيق من فيوضاته.

وأخيراً قد ضمنتُ وألحقتُ بحثاً عن الأخلاق التي وردت في أعماله، فهذه محاولة متواضعة لكشف الغطاء عن مبحث الأخلاق في أعماله وتأثيرها في الأمة المسلمة في عصره. والهدف منها بعث الأمة التي قد انسأقت وراء السطحيات والشعائر الظاهرة مع الخلو التام من الأخلاق وروح الدين التي ترتكز الرسالة السماوية عليها، مما أدت إلى إثارة الخوف في نفوس الآخرين وعدم التمكن من القيام بالمسؤولية الكبرى المنوطة بالأمة وتحقيق الخير لها. فأودّ أن أشير من خلال هذا العمل بأن استرداد المجد لا طريق له إلا بالرجوع إلى الأخلاق بدلا من الركون إلى الخمول الذي تغلغل في النفوس، وذلك من أجل إعادة إحيائها في ضوء قراءة جديدة تناسب العصر الراهن. والله الموفق.



الباب الأول
الشاه ولي الله الدهلوي: حياته وأفكاره

الفصل الأول : حياته

الفصل الثاني : أعماله

الباب الأول

الشاه ولي الله الدهلوي: حياته وأفكاره

الهند بلد فيه أجناس متعددة من ثقافات مختلفة. ولم تزل الهند طائرا ذهبيا طمعت فيها الأجانب من عهود قديمة. أما قصة مجيئ المسلمين إلى هذه الأرض الخصبة وتزايدهم عددا وأثرا خلال العصور والأزمان، فكان أغلبه عن طريق الرحلة والتجارة؛ لأن الصلات بين العرب والهند تضرب جذورها في سحيق الزمان، فمنذ فجر التاريخ كان البحارة العرب يمخرون بحر العرب لنقل السلع التجارية بين الهند والبلدان العربية. ومرو الزمان ازدادت وازدهرت هذه الروابط التجارية وأضيف إليها اتجاهات جديدة بعد بزوع الإسلام في داخل الجزيرة العربية.

بعد أن وطد المسلمون أقدامهم في ربوع الهند عكفوا على دراسة اللغات المحلية تمهيدا لنشر التعاليم الإسلامية في أنحاء البلاد، وفي نفس الوقت جذبوا اهتمام المواطنين إلى اللغة العربية باعتبارها لغة دينية لأهل الإسلام، ولم يمض ربح من الزمن حتى تمكن عدد كبير من الهنود من اللغة العربية وأساليبيها وجعلوا يؤلفون الكتب ويقرضون الأبيات الشعرية في هذه اللغة المقدسة. ومنهم الشاه ولي الله الدهلوي الذي له مكان مرموق بينهم.

الفصل الأول

حياة الشاه ولي الله الدهلوي

ولد الإمام الدهلوي صباح يوم الأربعاء في ٤ شوال ١١١٤ هـ / ٢١ فبراير ١٧٠٣م في بيت أخواله بقرية 'فلت' (Fulth) في مديرية مظفر نكر.^٥ أبوه 'الشيخ عبد الرحيم' كان عالماً ماهراً في علوم مختلفة. وله في ذلك الوقت ستون سنة. وكانت أمه 'فخر النساء' كريمة تقيّة ترعى أولادها بالرعاية العظيمة وتربّهم في ظلال الشريعة. كانت تمتاز ببراعة فائقة في العلوم الدينية. قلما توجد في مثلها من النساء. ولهذه الأمّ الحنونة العاملة مساهمة كبيرة في تربية الإمام الدهلوي، وكان هدف أمه أن يصبح ابنها عالماً كبيراً. وكذلك رباه والده تربية صوفية على طريقة القادرية والجشّية والنقشبندية^٦. ثم أكمل تربّيته الروحية تحت رعاية الخواجه خورد بن الخواجه باقي بالله شيخ مجدد الألف الثاني.

٥ أنفاس العارفين للشاه ولي الله الدهلوي ص: ٤٠٣ - ٤٠٤.

٦ يعنى تعلم الشاه ولي الله معظم العلوم من والده. وأسأذته ماعدا والده الكريم قليلون جدا مثل الشيخ محمد قاضل السندي الذي قرأ عليه الدهلوي نص القرآن الكريم والشيخ محمد أفضل السيالكوتي والشيخ ابي طاهر المدني فقد أخذ الدهلوي عنهما دروس الحديث وغيره.

كان أسلاف الدهلوي مهاجرين من بلاد العرب إلى إيران لأسباب ليست معروفة. وبعد ذلك سافر أسلاف الدهلوي إلى الهند واستوطنوا في قرية «رهتاك» (Rohtak) بسبب احتلال التاتار إيران والعراق، وبسبب الفساد والقتل الدمار الذي أحدثوه فيهما. كان جده جنديا شجاعا في جيش 'مغول' ومحبا كبيرا للقرآن. وبعد أن استشهد والد عبد الرحيم تولى تعليم عبد الرحيم وتربيته أخوه الكبير الشيخ أبو الرضا محمد. وعبد الرحيم كان تلميذا للعالم العظيم والصوفي زاهد الهروي.^٧ فقرأ عليه وعلى غيره من الأساتذة المشهورين العلوم العربية والإسلامية ودروس التصوف والسلوك. وصقل ما اكتسبه من أساتذته من علوم وفنون بذكائه وفطنته وجودة ذهنه وعمله المتواصل. فصار عبد الرحيم مشهورا بمعرفته العميقة وبراعته في العلوم الشرعية. ولذلك منحه الحكومة وظيفة مراجعة الفتاوى العالمكبرية التي تولاهها الشيخ عبد الرحيم متبعا أمر أمه. واشتهر بعد ذلك بالمدرسة الرحيمية^٨ في دلهي التي هي مقدم دار العلوم الديوبند الحالية. ونشأ الشاه ولي الله في بيت هذا الأب الكريم ورعاية هذا المعلم المشهور وسما إلى المستويات العالية.

أدخله أبوه في الكتاب في الخامسة من عمره، وبعد سنتين تعلم القراءة والكتابة. وحفظ القرآن الكريم في أواخر هذه السنة. وبدأ قراءة الكتب الفارسية والكتب الابتدائية المختصرة في العربية. ولما كان في السنة الرابعة عشرة من عمره تزوج بابنة خاله (أمة الرحيم) الشيخ عبد الله الصديقي الفلتي، وفرغ من دراسة الكتب المدرسية المتداولة في الهند في مختلف العلوم والفنون في هذه السنة نفسها. وحصل من والده

٧ وفي رواية مير زاهد وهو استاذ شهير منطقي متكلم.

٨ في مسافة عشر دقائق للجري بالقدم من محطة قطار نيو دلهي.

على إجازة التدريس والتعليم فبدأ التدريس في مدرسة أبيه 'المدرسة الرحيمية' المشهورة حينذاك.

ولما بلغ السابعة عشرة من عمره مرض والده، وفي هذا المرض وافاه الأجل. فأجازه والده قبل وفاته بأخذ البيعة وأذن له بالتوجيه والإرشاد. يقول الدهلوي:

«بعد أن توفي الوالد اشتغلت بتدريس الكتب الدينية والعقلية لمدة تقارب اثنتي عشرة سنة فتضلعت في العلوم بأنواعها. وكلما قمت بالمراقبة الروحية والتأمل لدى قبر الوالد انحلت مسائل التوحيد وفتحت أبواب السلوك وظفرت بالنصيب الوافر من المعرفة وازدحمت العلوم الوجدانية في ذهني. وبعد دراسة المذاهب الأربعة وكتبتها الأصولية والأحاديث التي تستدل عليها هذه المذاهب عرفت بنور البصيرة ان الطريق هو طريق الفقهاء المحدثين»^٩.

ولما كان في الثلاثين من عمره رحل إلى الحرمين الشريفين سنة ١١٤٣هـ / ١٧٣٠م، وأدّى فريضة الحج في تلك السنة ومرة أخرى في السنة التالية. وأقام في الحجاز نحو عامين. فحصلت له فرص واسعة للتعلم من العلماء الماهرين في الحديث خاصة والعلوم الأخرى عامة. فتلمذ على الشيخ أبي طاهر المدني^{١٠} وقرأ عليه أطرافاً من الكتب الصحاح الستة والموطأ والمسنند للدارمي وكتاب الآثار للإمام محمد ونال منه إجازة بقية الكتب وتلمذ أيضاً على الشيخ وفد الله، وأيضاً على الشيخ تاج الدين القلعي الحنفي الذي كان مفتياً بمكة المكرمة، وكان متبحراً في علوم

٩ الشاه ولي الله الدهلوي: انفا س العارفين، دلهي، ص: ٤٠٤ - ٤٠٦.

١٠ كان أبو طاهر يقول عن الشاه ولي الله: « إنه (الشاه) كان يسند عنى اللفظ وكنت أصح منه المعنى أو كلمة تشبه ذلك» قال الشاه ولي الله عن أبي طاهر المدني «وهو عمدة أبي عبد العزيز من بين مشايخه وأكثرهم له نفعا» (اليانغ - الجاني).

الحديث والتفسير والفقه فسمع منه الصحاح الستة والموطأ وغيرها. وأعطاه الشيخ إجازة رواية الحديث ولم يكتف بإجازة شفوية فقط بل كتبها بقلمه على ورقة. يدل هذا على ورعه ودقة نظره وعلى شوقه إلى حصول العلوم.

وبعد سنتين عاد من الحرمين الشريفين في رجب ١١٤٥هـ / يونيو ١٧٣٢م. واستأنف أيضا عملية التدريس في المدرسة الرحيمية. وظل يتبع تدريس الحديث الشريف زمنا طويلا بأسلوب يتسم بالروعة والعظمة. واشتغل في تدريس الطلاب بكل جهد وشغف حتى لا يعطي للأعمال الأخرى مثل الوعظ والإفتاء وفصل الخصومات إلا وقتا يسيرا. وكان يربي الطلاب تربية روحية ويؤدبهم بآداب السلوك والطريقة. وكان شغله الشاغل وتركيزه الكامل في هذه الفترة هو صناعة الرجال وتكوين الشخصيات.^{١١} فازداد عدد الطلاب الذين يجيئون إليه بعد عودته من الحرمين الشريفين زيادة ملحوظة حتى من خارج البلد. وهذه الحقيقة مما يدعو إلى الإعجاب وإثارة الدهشة. تعرف مكانة الدهلوي بكثرة تلاميذه وغازاتهم العلمية وقدرتهم على التصنيف والتأليف وبراعتهم في الدرس والإفادة، كما تعرف بعض الأشجار بثمارها. وبعد ثلاثين سنة من حياته الأخيرة أوقف عملية التدريس والإفادة العامة تدريجيا.

أشرنا إلى زواجه الأول لما كان في الرابعة عشر من عمره من ابنة خاله التي أنجبت له ابنا يسمى محمد. وبعد وفاة هذه الزوجة الأولى تم زواج الدهلوي بكرامة السيد ثناء الله السونبتي المسماة 'السيدة أرادت'.

11 Prof. Abdul Rahim Kidwai: Shah Waliullah Dehlavi-An Introduction To His Illustrious Personality And Achievements (Translation of Prof. Mohammed Yasin Mazhar Siddiqui's Urdu book), Shah Waliullah Dehlavi Research Cell, Institute Of Islamic Studies, Aligarh Muslim University, Aligarh, 2001, p. 14,15

وأنجبت له أبناءه الأربعة المعروفين: الشاه عبد العزيز، والشاه رفيع الدين عبد الوهاب، والشاه عبد القادر، والشاه عبد الغني وبنتا واحدة.

وفاته

قال ابنه عبد العزيز الدهلوي عن وفاة والده الشاه ولي الله الدهلوي: «إن الوالد الماجد لم يكن يعتل إلا قليلا لكنه أصيب بمرض في بداية ذي الحجة سنة ١١٧٥هـ / أواخر يونيو ١٧٦٢م فاشتد مرضه، وكانت بدايته في قرية 'بدهانه' من مديرية مظفرپور. فلما طال المرض جيء به إلى دهلي في التاسع من ذي الحجة سنة ١١٧٥هـ / يوم الأول من يوليو ١٧٦٢م حيث نزل في بيت واحد من مردييه اسمه بابا فضل الله الكشميري في داخل أسوار جامع روشن الدولة، وقد بذل الأطباء جهدهم في مداواته ولكن الداء ظل يشتد وأخيرا حان الأجل المحتوم ولفظ نفسه الأخير وقت الظهيرة ٢٩ محرم ١١٧٦هـ / ٢٠ أغسطس ١٧٦٢م»^{١٢}. فصح قول الله جل وأعز 'كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ'. وإنه مات من فوق الأرض لكنّه يحيى بيننا كما قال الشاعر:

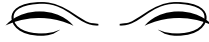
والجاهلون فماتوا قبل موتهم والعالمون وإن ماتوا فأحياء

أسماءه:

إذا بحثنا عن الأحوال السياسية في ذلك الزمان وجدنا أن قوة ملوك المغول أخذت في الضعف والانحسار في الهند في القرن الثامن عشر

١٢ وفي نفس اليوم شيع جثمانه ودفن بالقرب من قبر والده في مقبرة «مهنديان» دهلي.

الميلادي وانكسفت شمس أهل الإسلام في هذه المنطقة. ووجدنا الناس يطلقون لقب 'عظيم الدين' على هذا العالم، ولقبوه بـ'ولي الله' و'قطب الدين' تيمنا ببركة الاسم. فصار 'ولي الله' في الحقيقة بقضاء الله داخل الهند وخارجها.



الفصل الثاني

أعمال الشاه ولي الله الدهلوي

وإذا تهيأنا للبحث في أعماله وجدناها تدور على القرآن والحديث والفقه وأصول الفقه والعقائد والكلام والفلسفة والسياسية والاجتماع والتصوف والتاريخ والسيرة الذاتية والشعر العربي والنحو والأخلاق والعلوم الروحية والعلوم النفسية. وسيقف البحث على الأعمال الفلسفية دون غيرها.

(١) **حجة الله البالغة**: هذا كتاب عربي رائع التأليف، ويشكل إضافة هامة جدا في العالم الإسلامي. سيأتي التفصيل عن هذا العمل في الباب الثالث. نشر هذا الكتاب أولا في بريلي (الهند) في سنة ١٢٨٦هـ / ١٧٦٧م. وظهر عدد من الترجمات الأردية لهذا الكتاب. وترجم إلى الإنجليزية جزؤه الأول فقط على يد إي. جي. برل^{١٣} في لندن في ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م، ومؤخرا تحت عنوان 'الحجة القاطعة من الله' بقلم مارسا هرمنسن^{١٤}. وأخيرا وجدنا طبعات عربية مختلفة جيدة الطبع نشرت في البلاد المختلفة. وقام بتجديده كثير من العلماء الكبار ومنهم السيد سابق.

13 (E.J.Brill)

14 (Marcia Hermansen) - (The Conclusive Argument from God)

(٢) **البدور البازغة:** في العربية، ونشر في حيدرآباد، في سنة ١٣٩١هـ / ١٩٧٠م، وهذه مساهمته الثانية المهمة في التفسير الفلسفي والعقلي للإسلام بعد حجة الله البالغة. ترجم هذا الكتاب أيضا إلى الإنجليزية بيد ج. م. س. بيجن.^{١٥}

(٣) **حسنة العقيدة:** أيضا في العربية، ونشر في لكهنو، في سنة ١٣٨٣هـ / ١٩٦٢م. ويقع في ٧٢ صفحة. وفيه تقديم بسيط عقلي في أساسيات الاعتقاد في الإسلام. ترجم إلى اللغة الأردية وشرحه محمد أويس النكرامي باسم 'العقيدة الحسنة'.

(٤) **مكتوب مدني:** هذا كتاب فارسي، ونشر في لاهور، في سنة ١٣٨٦هـ / ١٩٦٥م. وهو رسالة طويلة خاطب بها الشاه ولي الله إسماعيل بن عبد الرحمن الرومي، وهو بحث في الأمور الغيبية لمفهوم الوجود. يوضح هذا العمل موقف المؤلف من مشاكل الوجود التي تشبه نظريات الشيخ ابن عربي والشيخ أحمد السرهندي. وتضمنت هذه الرسالة 'التفهيمات الإلهية'.

(٥) **الخبر الكثير:** بالعربية، ونشر في بنجور، الهند، في سنة ١٣٢٥هـ / ١٩٠٤م، وهذا عمل ملخص حاول فيه المؤلف توضيح أساسيات الإيمان التي تجمع حججا عقلانية وتقليدية.

(٦) **المقدمة السنية في الانتصار لفرق السنية:** هذا كتاب فارسي، ونشر في دلهي، وفي هذا العمل يحاول الدهلوي أن يقارن بين المذاهب السنية والمذاهب الشيعية. وهو في الحقيقة الترجمة العربية لأطروحة فارسية للشيخ أحمد السرهندي تسمى باسم «رد الروافض».

ذهب أهل العلم إلى أنه ليس عندنا شهادة تدل على الترتيب الزمني لمؤلفات الشاه ولي الله الدهلوي دلالة واضحة. ولذلك لا أريد أن أبحث في هذه النقطة. ولكن أريد أن أقول إن أعماله التي وجدتها، وجدتها حسب ترتيب حروف المعجم. وفيها يضم الكتب والرسائل وكذلك مؤلفاته الصغيرة والكبيرة. وترجم كثير من العلماء أعماله إلى مختلف اللغات واشتهر بعد ذلك بعض هذه الترجمات، وجرى تداول هذه الكتب باللغات المترجمة إليها. وبقي بعضها مخطوطاً، أولاً الكتب العربية:

١. أطيب النغم في مدح سيد العرب والعجم (القصيدة)
٢. الأربعون
٣. الإرشاد إلى مهمات علم الإسناد
٤. الإنصاف في بيان أسباب الاختلاف
٥. البدور البازغة
٦. الخير الكثير
٧. الدر الثمين في مبشرات النبي الأمين
٨. الفضل الممين في المسلسل من حديث النبي الأمين صلى الله عليه وسلم
٩. القول الجميل في بيان سواء السبيل
١٠. المسوى من أحاديث الموطأ
١١. المكتوب المدني
١٢. النوادر من أحاديث سيد الأوائل والأواخر
١٣. تأويل الأحاديث
١٤. تراجم أبواب البخاري
١٥. حجة الله البالغة

١٦. حسنة العقيدة
١٧. ديوان الشعر العربي
١٨. شرح تراجم أبواب صحيح البخاري
١٩. عقد الجيد في أحكام الإجتهد والتقليد
٢٠. فتح الخبير
٢١. فتح الودود لمعرفة الجنود
٢٢. فيوض الحرمين
٢٣. مجموعة رسائل في مناقب الإمام البخاري

وثانيا الكتب الفارسية:

١. إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء
٢. الإمداد في مآثر الأجداد
٣. الانتباه في سلاسل أولياء الله
٤. التفهيمات الإلهية (قد جاء بعضها بالعربية)
٥. الجزء اللطيف في ترجمة العبد الضعيف
٦. الزهراوين
٧. أطفاف القدس
٨. العطية الصمدية في الأنفاس المحمدية
٩. الفوز الكبير في أصول التفسير
١٠. المصفى
١١. المقالة الوضيئة في الوصية والنصيحة
١٢. المقدمة السنوية في الانتصار لفرق السنوية
١٣. المقدمة في قوانين الترجمة

١٤. النبذة الإبريزية في اللطيفة العزيزية
١٥. إنسان العين في مشايخ الحرميين
١٦. أنفاس العارفين (سيرته الذاتية)
١٧. بوارق الولاية
١٨. تحفة الموحدين
١٩. رسالة في الحكمة
٢٠. رسالة في الرد على رسالة الشيخ خواجه خورد عبد الله بن عبد الباقي
٢١. سرور المحزون
٢٢. سطعات
٢٣. شفاء القلوب
٢٤. شوارق المعرفة
٢٥. فتح الرحمن
٢٦. قرة العينين في تفضيل الشيخين
٢٧. كشف العين عن شرح الرباعيتين
٢٨. لمعات
٢٩. مجموعة رسائل في فضل ابن تيمية
٣٠. همعات
٣١. هوامع شرح حزب البحر

هذه هي التي وجدتها، ويقال إن أعماله يكون عددها بين ثمانين وتسعين، وفي قول آخر يكون عددها بين تسعين وألف. وقد ورد ذكر بعض مؤلفاته في ثنايا الإجازات والمقالات الصوفية والكتب والرسائل الأخرى.

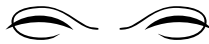
الإمام الدهلوي شاعرا

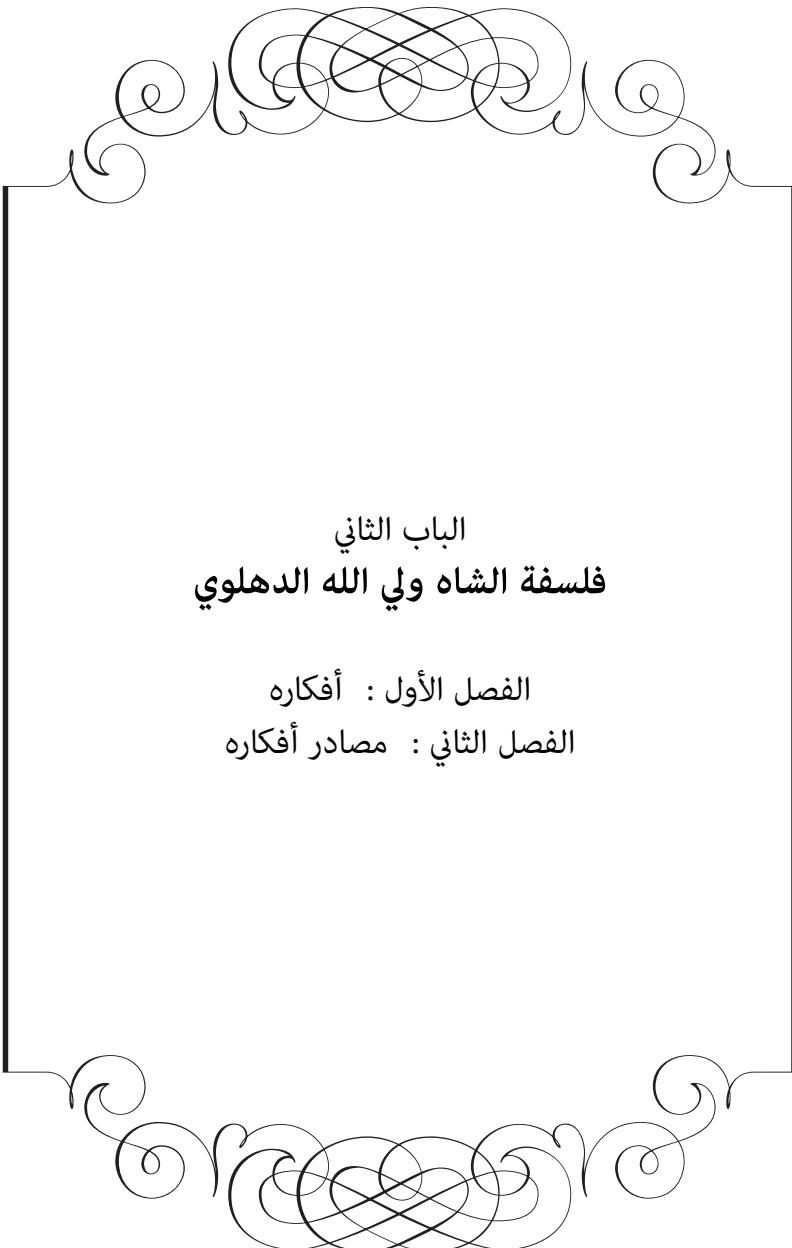
له قصائد غراء في مدح النبي صلى الله عليه وسلم جمعت بين جزالة اللفظ ورقة المعنى وقوة السبك وعمق الفكر. ومنها قصيدة 'أطيب النغم في مدح سيّد العرب والعجم'. ولم يبدأ الدهلوي قصائده بالغزل ولا بالبكاء على الديار وكانت معظمها إسلامية، ومن شعره:

كأن نجوماً أو مضت في الغياهب عيون الأفاعي أو رؤوس العقارب
إذا كان قلب المرء في الأمر خائراً فأضيق من تسعين رجب السباسب
وتشغلني عنّي وعن كلّ راحتي مصائب تقفو مثلها في المصائب

إلى أن يقول:

فمن شاء فليذكر جمال بثينة ومن شاء فليغزل بحب الزيانب
سأذكر حبي للحبيب محمد إذا وصف العشاق حب الحبانب





الباب الثاني
فلسفة الشاه ولي الله الدهلوي

الفصل الأول : أفكاره
الفصل الثاني : مصادر أفكاره

الباب الثاني

فلسفة الشاه ولي الله الدهلوي

يعتبر الإمام الدهلوي فيلسوفا مشهورا في الإسلام. وكتابه: 'حجة الله البالغة' مشهور جدا بين الفلاسفة العرب والمسلمين وغيرهم. ويشبه الإمام الدهلوي الإمام الغزالي وأمثاله بما في كتب الدهلوي من حديث عن أسرار الشريعة وغيرها. وسيجيئ بيان قسم واحد من الفلسفة في الباب الرابع الذي هو 'الأخلاق'. وسنحاول الوقوف أولا على أفكاره وآرائه في مختلف المواضع الدينية والإسلامية.

الفصل الأول

أفكار الشاه ولي الله الدهلوي

يقول الأستاذ محمد ياسين مظهر الصديقي: «إن من يدرس شخصية الشاه ولي الله الدهلوي يصادفه تياران متميزان في فكره وفلسفته: أولها يقدمه باعتباره شارحا ومفسرا والثاني بصفته مفكرا وفيلسوبا. وهذان التياران يجريان جنبا إلى جنب أحيانا حيث يجري التيار الفكري تحت التيار التفسيري، وأحيانا أخرى يجري كل منهما على الاستقلال - ولكنهما في هذه الصورة أيضا - لا ينفي أحدهما الآخر على اختلاف مجراهما. بل على العكس يؤيد كل منهما الآخر. وأن المعرفة بهذه التيارات أو المستويات الفكرية في كتاباته ليست بأمر عسير، وإنما تتعين تلقائيا بتعين الموضوع والمادة فكلها تعرض فكره لمظاهر الدين الخارجية ومبادئ التصوف الظاهرة أو لمسائل العلوم والفنون المسلم بها يغلب التيار التفسيري والبياني وكلها يخوض الأغوار الباطنية لهذه الأمور ويمخض أسرارها وحكمها ويستحوذ على أسلوبه التيار الفكري والفلسفي».^{١٦}

١٦ الأستاذ محمد ياسين مظهر الصديقي: 'الإمام الدهلوي عرض موجز لحياته وفكره - عرض موجز لحياته وفكره' (التعريب: سيد عليم أشرف الجائسي)، مركز الشاه ولي الله الدهلوي للبحوث العلمية، معهد العلوم الإسلامية، جامعة عليكرة الإسلامية، عليكرة، ٢٠٠١م، ص: ٤٥ - ٤٦.

ونستطيع أن نفهم أن أفكاره مرتبطة بمعظم الأمور الدنيوية والدينية والفلسفية. وهنا أريد أن أقسم أفكاره قسمين. القسم الأول: الأفكار الاجتماعية والاقتصادية، والثاني: الأفكار السياسية وأما سائر الأفكار فكلها تجيء تحتها.

(١) أفكاره الاجتماعية والاقتصادية

حاول الشاه ولي الله محاولة جدية تامة استكشاف العلاقة بين النظام الاجتماعي والنظام الاقتصادي. وللروحانية سمتان على قوله (١) علاقة الإنسان بالله تعالى (٢) علاقة الإنسان بالكائنات. لا يحقق الفرد الكمال الروحي إلا أن ينقاذ نفسه من العزلة من المجتمع. وليس هذا إلا ليدي روحانية الشخص في المنصب الاجتماعي. ولذلك يتعامل الإسلام مع الفرد كفرد نادرا. ويتصور الإسلام الإنسان دائما عضوا من عائلة أو جالية. هكذا العدالة الاجتماعية شرط لتطور الفرد.

العدالة الاجتماعية ليست واجب الدولة فقط، بل يجب على كل أفراد المجتمع مراعتها. والزكاة طريق من طرق إصلاح المستوى الاقتصادي بين الناس. وعلى الموسرين ألا يكتفوا بإعطاء الزكاة فقط، بل يجب عليهم أن ينهضوا بمساعدة المعسرین في كل المجالات الممكنة. هذا هو أمر الشريعة^{١٧} في دفع الضرر عن المسلمين. وقد عالج هذا الأمر في مبحث الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية.

١٧ مسألة:- يقول الإمام النووي في كتابه المشهور 'منهاج الطالبين': «ومن فرض الكفاية القيام بإقامة الحجج ودفع ضرر المسلمين ككسوة عار وإطعام جائع إذا لم يندفع بزكاة وبيت مال» وشرح الإمام جلال الدين المحلي بقوله «من سهم المصالح بأن لم يكن فيه شئ منه، وهذا في حق أهل الثروة» وشرح القليوبي بقوله «بأن يملك ما يبذله زيادة على كفاية سنة فقط لا العمر

عدّ الإمام الدهلوي العدالة طريقاً من طرق تحصيل السعادة. ويبيّن أن طرق تحصيل السعادة أربعة وهي: الطهارة والإخبات لله تعالى والسماحة والعدالة. وسيجيئ بيانها في مبحث السعادة. والعدالة هي الميزة الضرورية للتطور المنسجم للجنس البشري. وتكون مظاهرها عديدة ولكنها تمثل الخيط الذهبي الواحد الذي يشكّل شبكة الأنماط المتنوعة للحياة الإنسانية. وعندما تظهر العدالة في اللباس والأساليب والأعراف يُطلق عليها اسم 'الآداب'. وتدعى 'الاقتصاد' إن كانت في الأمور التي تتعلق بالدخل والإنفاق، وتسمى 'السياسية' إن كانت في شؤون المقياس. وقال الدهلوي:

«العدالة هي ملكة في النفس تصدر عنها الأفعال التي يقام بها نظام المدينة والحي بسهولة وتكون النفس كالمجبول على تلك الأفاعيل. والسر في ذلك أن الملائكة والنفوس المجردة عن العلائق الجسمانية ينطبع فيها ما أراد الله في خلق العالم من إصلاح النظام ونحوه فتقلب مرضياتها إلى ما يناسب ذلك النظام، فهذه طبيعة الروح المجردة، فإن فارقت جسدها وفيها شيء من هذه الصفة ابتهجت كل الابتهاج، ووجدت سبيلاً إلى اللذة المفارقة عن اللذات الخسيسة، وإن فارقت وفيها ضد هذه الخصلة ضاق عليها الحال وتوحشت وتألّمت.»^{١٨}

وسوّى الإمام الدهلوي بين العادل والملائكة فقال: «وإذا تمكنت العدالة من الإنسان وقع اشتراك بينه وبين حملة العرش ومقربي الحضرة

الغالب خلافاً للبلقيني ويقدم حاجة مسلم على كافر وكالكسوة والإطعام أجرة طبيب وثمر دواء لمريض وخادم لمنقطع وحمل عاجز عن المشي وحمل متاع عاجز عن حمله ويحرم المنع على من سئل وإن كان ثم غيره دفعا للتواكل»، حاشيتان القليوبي وعميرة، أبناء مولوي محمد بن غلام رسول السورتي، ممبئي، ٤ / ٢١٤ - ٢١٥.

١٨ الإمام الدهلوي: حجة الله البالغة، كتب خاتمه رشيدية، دلهي، ١٣٧٣هـ ص: ١ / ٥٤.

من الملائكة الذين هم وسائط نزول الجود والبركات وكان ذلك بابا مفتوحا بينه وبينهم ومعدا لنزول ألوانهم وصبغهم بمنزلة تمكين النفس من إلهام الملائكة والانبعاث حسبها»^{١٩}

يبحث الشاه ولي الله تحت عنوان: 'الارتفاقات'^{٢٠} مشاكل العلاقات الإنسانية. حيث يقول إن للفرد حاجات متعددة هي التي تدفعه إلى السعي والحركة. يؤدّي إشباع هذه الحاجات البشرية إلى تكوين المجتمع الإنساني وأعرافه. فالحاجات تتضمن اعتماد الأفراد بعضهم على بعض، ولما اجتمع الناس وتوفر الأمن والسلامة تشكلت الحكومة. ولما قامت المصالح بينهم تأسس البنية الاقتصادية لإرضاء حاجاتهم المادية. إن النوعية الأساسية لنظام صوتي سواء كان سياسيا أو اقتصاديا أو اجتماعيا هي العلاقة المتوازنة بين مجموعة الأعضاء المختلفين لزمرة اجتماعية. هذه العلاقة المتوازنة بدون شك انعكاس للسلام الباطن وللعلاقة الصحيحة بالخالق. ومن الناحية الأخرى فإن النظام الاجتماعي نفسه يبعث على السلام والعلاقات الإنسانية السليمة.

يبحث الدهلوي في بعض السمات الأساسية لنظام اجتماعي كعملية ديناميكية. وإنه يبدأ باللغة ويشير إلى أن اللغة ليست عربة التعبير فقط، لكن هي أمر مهم لتطور الثقافة والحضارة أيضا،^{٢١} ثم تجيء الزراعة التي تزود الناس بالغذاء. يتعلم الرجل فنّ الري من هذه العملية. ثم يذبح الحيوانات أيضا ويستفيد منها في المائة والواحد طرقا كثيرة. ثم

١٩ المصدر السابق: ١ / ٥٥.

٢٠ ترجم مولانا عبيد الله السندي هذا القول بـ Social Institutions في كتابه الأردّي "الشاه ولي الله اور انكي سياسي تحريك". سند ساكر الحادمي، لاهور ١٩٥٢م، ص: ٤٣.

٢١ الامام الدهلوي: حجة الله البالغة، كتب خانة رشيدية، دلهي، ١٣٧٣هـ ص: ٣٨ / ج ١.

بنت البيوت لكي تحمي الجنس البشري ضد عنف الطقس والفصول.^{٢٢} وتعتمد كل التطورات الأخرى على تأسيس الدولة. والجماعة الجاهلية هي جماعة تعمل الجناح بقوة قسرية لممارسة مراقبة صحيحة. الدولة حسب رأيه يجب أن لا توجّه مجال نشاطاتها إلى أمن الأفراد وسلامتهم فقط، ولكن يجب أن تبتكر لجنة مالية للرفاهية وتقدم المجتمع جميعاً. ولذا يجب أن يكون في ضمن الدولة وظائف لاستئصال كل أنواع الشرور الاجتماعية - مثل القمار (gambling) والزنا والربا والرشوة وغيرها. ويجب على التجار أن يمارسوا مراقبة حذرة للضمان بأنهم لا ينغمسون في سوء التصرف. يشير الدهلوي بقوله: "لما لم يوزع قوس الوظائف بإنصاف بين الأقسام المختلفة من المجتمع تستلم ثقافته نكسة، مثلاً إذا أخذ أغلب الناس التجارة ستهمل الزراعة بالضرورة. وهكذا إذا سجل معظم السكان في الجيش يعاني الناس من المشاق العظيمة، وكذلك سيكون هناك بضعة يسيرة فقط للاعتناء بالزراعة والتجارة فالنظام الاجتماعي سيزعج كاملاً"

يعتقد الشاه ولي الله الدهلوي بأن الأمر المهم في ضمن الدولة بعد وظائف الجيش والشرطة هو الزراعة التي توفر للناس ضرورات الحياة التي عليها اعتمادهم في العيش . يجب أن تطور الدولة طرق الزراعة.^{٢٣} وكل بوصة من الأرض يجب أن يحرث بشكل صحيح، ويجب أن يكون هناك مخطط لتعاقب المحاصيل. ودون ذلك ينبغي أن تتبنى الدولة لجنة مالية لتشجيع التجارة والصناعة. وهكذا، وفق نظر ولي الله الدهلوي، يتوفر المجتمع على الرفاهية والكفاية إذا أخذ بمبدأ التنوع

٢٢ المصدر السابق: ص: ١ / ٤٣ - ٤٤.

٢٣ المصدر السابق: ص: ١ / ٤٠ - ٤٧

في الإنتاج والعمل. وهذا التنوع يجب أن ينجز بتثبيت الناس على المهن المختلفة، كل حسب قدرته وكفاءته ومهارته. ويمكن أن يستخرج الإمكانيات غير المحدودة الكامنة في الأفراد إذا وضع الإنسان المناسب في المكان المناسب وروعت القدرات العقلية والجسدية.

يعتقد الشاه ولي الله الدهلوي بأنه يمكن للنظام الاقتصادي الصحيح المستند إلى العدالة الاجتماعية أن يساهم في سعادة المجتمع. وعندما تقصّر الدولة في تطوير مثل هذا النظام أو الاحتفاظ به فيصبح هبوطها أمراً حتمياً. ويختتم الدهلوي آراءه في هذه المسألة بما وجد في عصره وهو: «وغالب سبب خراب البلدان في هذا الزمان شيان، أحدهما تضييقهم على بيت المال بأن يعتادوا التكسب بالأخذ منه على أنهم من الغزاة أو من العلماء الذين لهم حق فيه أم من الذين جرت عادة الملوك بصلتهم كالزهاد والشعراء أو بوجه من وجوه تقدي. ويكون العمدة عندهم هو التكسب دون القيام بالمصلحة فيدخل قوم على قوم فينغصون عليهم ويصيرون كلا على المدينة. والثاني ضرب الضرائب^{٢٤} الثقيلة على الزراع والتجار والمتحرفة والتشديد عليهم حتى يفضى إلى إجحاف المطاوعين واستئصالهم وإلى منع أولي بأس شديد وبغيهم. وإنما تصلح المدينة بالجباية اليسيرة وإقامة الحفظة بقدر الضرورة فليتنبه أهل الزمان لهذه النكتة والله أعلم»^{٢٥}.

توصل الدهلوي إلي أن العامل الرئيسي المسؤول عن هبوط الثقافة الإسلامية هو ترك العديد من الناس وظائفهم الخاصة ليصبحوا متطفلين على الحكومة. وهم عبء عظيم على الخزينة العامة للحكومة. وفي هذا

٢٤ اي الخراجات

٢٥ الامام الدهلوي: حجة الله البالغة، كتب خانه رشيدية، دلهي، ١٣٧٣هـ ص: ١/ ٤٥

الصدد يشير الدهلوي إلي وهم عظيم شاع بين المسلمين. وهو أن معظم المسلمين يعتقدون بأن الفقر والفاقة مرغوبة عند الله عز وجل. ولذلك لا يحاول المسلم الصحيح أن يصبح غنيا. ومثل هذا النظر هو نظر خاطئ. أن العيشة البسيطة العادية التي تجيء من القناعة الذاتية مختلفة أساسا عن الفاقة المنحطة التي تؤدي إلى إخضاع الضعفاء في أغلب الأحيان. هذا الذي دعاه الشاه ولي الله الدهلوي بـ'المجاعة المجبرة لبعض الأصناف'. وهو يقول: «هو صار جداً لرفاهية المجتمع. هذه ليست مزية ولكن هي جريمة. ولا يمنح الإسلام أي رخصة بأي صنف لإرغام الآخرين أن يبقوا حطابين للخشب وساحبين للماء. يهدف هذا إنجاز العدالة الاجتماعية. هذا محتمل حينما صار المجتمع خاليا من الصراع الطبقي وكل شخص مجهز بفرصة لتطوير سلطاته المستترة وسعته وتقوية فرديته مع الاشتراك المجاني والنشاط في منافع بيئته المادية والثقافية».^{٢٦} ويقول بعد ذلك: «الإسلام يُعلّمنا بأن هذه الفردية المركزية القوية التي حادت وصلبت بالتجربة النشيطة للحياة يجب أن لا تصبح مهووسة بالتفخيم الذاتي. ويجب بالأحرى أن يكون مكرسا لخدمة الله وللمصالح البشرية خلال هذا، لا يوصي الإسلام أتباعه لتقديم أنفسهم لتذمر نظام اجتماعي مستبد. هي العدالة الاجتماعية التي مدحها الرسول صلى الله عليه وسلم بدلا من الفاقة. العدالة ليست تحمى فردا ضد موقف التكبر والغرور فقط بل تتطور في الإنسان قوة لرفض الإغراءات»^{٢٧}

ومن هنا يمكن أن نستطيع عن واجبات كل فرد من أفراد الإنسان. هو أن يعيش أخذا بقواعد الإسلام والشريعة. لا عبرة لمكانه يعني ببلدة

٢٦ للبحث الواسع انظر باب 'اقامة الارتفاقات واصلاح الرسوم' في حجة الله البالغة، كتب خانة رشيدية، دلهي، ١٣٧٣هـ - ١٠٤ - ١٠٩.

٢٧ نفس المصدر: ص: ١٠٤ - ١٠٩

الإسلام ام غيرها. وهكذا لا عبرة في أي جماعة يعنى بين جماعة المسلمين أم لا. فيجب عليه أن يعيش في الإسلام بطاقته وقوته.

(٢) أفكاره السياسية

ولمّا نعتبر أفكاره السياسية نحتاج إلى فهم الوضع السياسي للهند حينذاك لأن له تعلق عميق بأفكار الدهلوي. ولد الإمام ولي الله الدهلوي قبل وفاة السلطان أورنگ زيب عالمكير (م ١١١٨هـ / ١٧٠٧م) بأربع سنين. وقد كان السلطان أورنگ زيب في ضوء التاريخ المعلوم المحفوظ أكبر سلاطين شبه القارة الهندية. وكانت مملكته وحكومته أوسع الحكومات التي قامت في الهند، يقول مؤلفو 'Cambridge History of India': «كانت حكومة أورنگ زيب من غزنين إلى شتاغونخ، ومن كشمير إلى كرناتك»^{٢٨}

ويقول المؤرخون الآخرون: "لم تقم في الهند من العهد القديم إلى عهد سيطرة الإنجليز وغلبتهم مثل هذه الحكومة (حكومة أورنگ زيب) الواسعة الأرجاء طويلة الأبعاد"^{٢٩}

ولكن خلف أورنگ زيب على عرشه العظيم المهيب (وهو الذي كان قد أصبح حاميا للدين وحارسا له وخادما للشعب المسلم بدل أن يكون ماحيا للدين وهادما له ومستغلا للشعب) من أولاده أولئك الأشخاص الضعفاء الذين كأنهم خلفوا أن يتداركوا ما وقع فيه أورنگ زيب من خطأ الحفاظ على الدين والذب عنه وإحياء الشريعة الإسلامية وإجراء السنة النبوية وأنهم سيكفرون دائما عن تلك الجريمة التي ارتكبها السلطان أورنگ زيب بتوسيعه لحدود المملكة وتنظيمه لإدارة البلاد وتوطيد دعائم

28 Cambridge History of India, Vol.4, p.316, Delhi, 1970.

29 (1) Ibid. p.175. (2) D.P. Mahajan: Muslim Rule in India, Delhi, 1971.

الحكومة بيقظته وحنكته وجدته ومثابرته وشعوره بالمسئولية وما دخل من الرعب والهيبة في قلوب العامة والأشرار والمفسدين بترفهم وبذخهم وكسلهم وعدم كفاءتهم وصراهم الداخلي ومنازعاتهم واعتمادهم كليا على الوزراء وأركان البلاط المعرضين المتكالبين على الجاه والسلطان وغفلتهم عن شؤون الدولة وإدارة البلاد. فكان من سوء حظ الدولة المغولية والأمة المسلمة بل الهند كلها أن توالى على عرش مملكتها ملوك ضعفاء غير أكفاء وكان من عجائب التاريخ أن كان خليفة أورنك زيب الأول (الشاه عالم بهادور شاه الأول) نفسه على الضد من والده العظيم. لقد توالى على عرش الدولة المغولية في عهد الإمام الدهلوي (١١١٤ - ١١٧٦هـ / ١٧٠٣ - ١٧٦٤م) بعد السلطان أورنك زيب أحد عشر ملكا.^{٣٠}

أريد أن اقتصر على بيان أحوال الهند وإن كان ذكر أحوال العالم أولى. لأنه لا ينبغي أن لا نغفل حقيقة ذات شأن. وهي أن العصر الذي يولد فيه الإنسان والعالم الذي يعاصره والمجتمع الإنساني الذي يعيش فيه هو كالنهر الجاري تتصل كل موجة فيه بالموجة الأخرى وتتسق معها. فلم يكن يمكن لمثل الإمام الدهلوي في سعة أفقه وعالمية تفكيره والذي كان اطلعاه على التاريخ الإسلامي اطلعا واسعا عميقا أن يغض النظر عن أحوال العالم لاسيما عن أحوال بلاد المسلمين. فقد كان خبيرا بموقف الشريعة الإسلامية من الخلافة وأهميتها السياسية والاجتماعية. وكان يرى أنه لا بد للدين والأخلاق الصالحة والمجتمع الصالح والمدنية الصحيحة والحياة الإسلامية من حكومة مستقلة حرة وقوة سياسية صالحة.

٣٠ ابو الحسن علي الندوي: الإمام الدهلوي (رجال الفكر والدعوة في الإسلام / الجزء الرابع)، دارالقلم للنشر والتوزيع، الكويت، ١٩٩٦م، ص: ٤٠-٤١

أفكاره عن الدولة (State)

كما قال أرسطو يقول الشاه ولي الله: «يمكن للدولة أن تعطي حياة طيبة للناس». يريد الدهلوي بالحياة الطيبة الحياة التي يبينها الإسلام ليس غير. ووفقا لهذه النظره فأن الدولة واسطة إلى غاية والدولة نفسها ليست غاية. ولذلك قال الدهلوي لا يمكن أن يدفع امتلاك القوة القسرية مهما تكن الغاية التي لها أسست الدولة، وإذا أنفذت الدولة هذه القوة بأمانة فيجب على الأفراد كلهم أن يصبحوا عضوا محبا لتلك الدولة. ولكن إذا سيطرت الدولة على هذه القوة بغير أمانة فيلزم على كل واحد من أفراد هذه الدولة أن يجتهدوا لإسقاطها. يجب على الأفراد أن يمتحنوا جودة الدولة التي يعيشون فيها وإن كان الواجب عليهم أن يصبحوا عضوا محبا للدولة.

وفي كتابه المشهور: 'إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء' يظهر الدهلوي بأقوال واضحة شروط الخلافة الإسلامية يعني الدولة الإسلامية. فالخلافة في نظره هي شكل الدولة التي أسست أو تأسس لتنفيذ قوانين الشريعة بمطابقة أقوال النبي صلى الله عليه وسلم. أن المسؤولية الأولى على الخلافة هي إحياء التعليمات الإسلامية وإيرادها في الحياة العملية. وكذلك أن تهيأ الملة للجهاد وإقماح كل الشرور التي نشأت بسبب سوء استعمال وظائفها.

أوضح الدهلوي بشكل ظاهر العلاقة بين الأفراد والدولة. يقول الدهلوي في ظهور التعليمات الإسلامية «الإنسان ليس جزءا فردا مجردا للمجتمع كما يرى في نحل وغل وغيرهما» ولكن للفرد قيمة حقيقية في الإسلام. يعتبر الإسلام الفرد الواحد فردا هاما من البداية إلى النهاية. ولكن

يعيش كل إنسان في المجتمع بالنمط الاجتماعي الذي تطوره روحانيته بشكل صحيح. فالواجب على الدولة أولاً أن تعتبر تطور الأفراد.

أوصاف المملوك

ذكر الدهلوي بعض الأوصاف التي يجب أن تكون في المملوك وهي:

١. يجب أن يكون الملك متصفاً بالأخلاق المرضية.
٢. أن يكون شجاعاً.
٣. أن يكون حليماً.
٤. أن يكون عاقلاً بالغاً حراً ذكراً ذا رأي وسمع وبصر ونطق.
٥. لا بد للملك من إنشاء الجاه في قلوب رعيته ثم حفظه وتدارك الخادشات له بتدابير مناسبة.

يعني أن الدهلوي أراد السياسية الإسلامية فقط ليس غير. إنه قرر الأخلاق الفاضلة وقال: "ومن قصد الجاه فعليه أن يتحلّى بالأخلاق الفاضلة مما يناسب رياسته كالشجاعة والحكمة والسخاوة والعفو عمن ظلم وإرادة نفع العامة ويفعل بالناس ما يفعل الصياد بالوحش فكما إن الصياد يذهب إلى الغيضة"^{٣١}

الحاجة إلى السلطان

قد ذكر الدهلوي عن الحاجة الماسة إلى السلطان. قال تحت عنوان 'الإرتفاق الرابع':

٣١ الامام الدهلوي: حجة الله البالغة، كتب خانة رشيدية، دلهي، ١٣٧٣هـ ص: ١ / ٤٥.

«وهي الحكمة الباحثة عن سياسة حكام المدن وملوكها وكيفية حفظ الربط الواقع بين أهل الأقاليم وذلك أنه لما أفرز كل ملك بمدينته وجبى إليه الأموال وانضمّ إليه الأبطال أوجب اختلاف أمزجتهم وتشتت استعداداتهم أن يكون فيهم الجور وترك السنة الراشدة وأن يطمع بعضهم في مدينة الآخر وأن يتحاسدوا ويتقاتلوا بآراء جزئية من نحو رغبة في الأموال والأراضي أو حسد وحقد، فلما كثر ذلك في الملوك اضطروا إلى الخليفة وهو من حصل له من العساكر والعدد ما يرى كالمتمتع أن يسلب رجل آخر ملكه».^{٣٢}

كذلك لما نبحت عن أفكاره السياسية نرى عنوان الإمام الدهلوي للمبحث السادس بـ «مبحث السياسات الملئية». وهو من أهم المباحث في كتاب حجة الله البالغة.^{٣٣} وقد صرح الإمام في الباب الأول منه بوجود حاجة الناس وأسبابها إلى هداة السبل ومقيمي الملل يعني الأنبياء والرسل ولماذا لا تكفيهم في هذا الصدد عقولهم العامة وفطرتهم السليمة ومن هنا يفهم أن الإمام قد قسم السياسة قسمين (١) السياسية الملئية (٢) السياسية الملئية.

العناصر التي أثرت في أفكاره السياسية

١. انحطاط الملوك المسلمين في موغل كما تقدم بيانه
٢. رحلته إلى الحجاز
٣. فساد النظام وملوك الطوائف والقلق والاضطراب
٤. استدبار المسلمين الثقافة الإسلامية الشريفة
٥. شوقه للقرآن والسنة والشريعة الإسلامية
٦. رغبته في سلامة الهند

٣٢ المصدر السابق: ١ / ٤٧.

٣٣ (ص: ٨٣- ٨٤)

ويحدثنا التاريخ أن الوثنيين والصابئة استولوا على بلدة 'أجمير' ونواحيها وبلدة 'دهلي' وأرجائها. فكان وجود الإمام العارف معين الدين الأجميري في أجمير سببا لغلبة الإسلام على الوثنية وقام من بعده خليفته الإمام العارف قطب الدين بختيار الكعكي فاستبقى شوكة المسلمين في دهلي وتوابعها.

وقد طغى على أرض 'البنجاب' جبورت أهل الكفر من أمم 'الشيخ' واستشروا في بغيهم ولجوا في استطالتهم على الإسلام وتفاقم الشر فأصلح الله حال الإسلام بوجود الإمام الرباني المجدد للألف الثاني الشيخ أحمد السرهندي. وهكذا أصبحت أنفاسهم ونفثاتهم وآراؤهم وأفكارهم وجهودهم المتواصلة أسسا متينة لبقاء الإسلام وإحياء شعائر الدين وتجديد معالم الشرع وهكذا كانوا حصونا منيعة وسدودا قائمة دون فتن يأجوجية دائمة.

قد جاء الإمام الدهلوي بعدهم متبعا أقدامهم ولذلك قال رحمه الله في باب إقامة الارتفاقات وإصلاح الرسوم من حجة الله:

"أعلم أن العجم والروم لما توارثوا الخلافة قرونا كثيرة وخاضوا في لذة الدنيا ونسوا الدار الآخرة واستحوذ عليهم الشيطان تعمقوا في مرافق المعيشة وتباهوا بها وورد عليهم حكماء الآفاق يستنبطون لهم دقائق المعاش ومرافقه فما زالوا يعملون بها ويزيد بعضهم على بعض ويتباهون بها... (إلى أن قال) وذكر ذلك يطول وما تراه من ملوك بلادك يغنيك عن حكاياتهم... (إلى أن يقول) وتولد من ذلك داء عضال دخل في جميع أعضاء المدينة وآفة عظيمة لم يبق منهم أحد من أسواقهم ورستاقهم وغنيهم وفقيرهم إلا وقد استولت عليه وأخذت بتلابيبه وتغلغت في نفسه وأهاجت عليه هموما وغموما لا أرجاء لها وذلك أن تلك الأشياء

لم تكن تحصل إلا ببذل أموال خطيرة لا تحصل إلا بتضعيف الضرائب على الفلاحين والتجار وأشباههم والتضييق عليهم. فإن امتنعوا قاتلوهم وعذبوهم وإن أطاعوا جعلوهم بمنزلة الحمير والبقر يستعمل في النضح والدياس والحصاد ويتركون أصول المكاسب التي عليها بناء نظام العالم فاما عظمت هذه المصيبة واشتد هذا المرض سخط الله عليهم والملائكة المقربون. وكان رضاه تعالى في معالجة هذا المرض بقطع مادته^{٣٤} وراجعه كله فإنه كلام حكيم من حكماء الإسلام وكلمات طيبة صادرة عن طبيب من أطباء القلوب كلها درر وعبير. وكذلك قال الدهلوي في 'فيوض الحرمين'^{٣٥} عن منام رأى فيه نفسه أنه قائم الزمان يعني بذلك أن الله تعالى إذا أراد شيئاً من نظام الخير فجعله كالجارحة لإتمام مراده. رأى فيه أن ملك الكفار قد استولى على بلاد المسلمين ونهب أموالهم وسبى ذرياتهم وأظهر في بلدة 'أجمير' شعائر الكفر وأبطل شعائر الإسلام والعياذ بالله. (وأخيراً) إنه رأى ملك الكفار بطش به القوم وصرعوه وذبحوه بسكين فلما رأى الدهلوي الدم يخرج من أوداجه متدفقا قال: «الآن نزلت الرحمة والسكينة. وشملت من باشر القتال من المسلمين وصاروا مرحومين». رأى ذلك ليلة الجمعة الحادية والعشرين من ذي القعدة الحرام سنة ١١٤٤ هـ / ١٧٣٢ م.

وتعبير ذلك المنام يقصّه علينا تاريخ عهده، إذ كان المترفون من القوم قد أصبحوا منغمسين في أنواع من الترف والنعيم مستغرقين في أصناف من الشهوات واللذات منهمكين في أشنع الخلاعة والدعارة الشنعاء قد سلكوا في نظام الحكومة خطة عوجاء حتى تسرب الفساد

٣٤ الامام الدهلوي: حجة الله البالغة، كتب خانة رشيدية، دلهي، ١٣٧٣هـ، ص: ١٠٥ / ١٠٦.

٣٥ فيوض الحرمين: ص: ٨٩

إلى سائر قواهم وسرى الوهن في جميع المجتمع الإسلامي الهندي ودأب القوم على آداب الأكاسرة والقياصرة في جميع مرافق حياتهم ونظام معيشتهم فألهتهم عن الدين والدار الآخرة. وهكذا تكون حال الأمراء إذا استعبدتهم الأهواء يتجرعون قصص ترفهم ويذوقون مرارته ويتحملون من جرائه ذلة وهوانا وخزيا فادحا. ولايفلتون من قبضة البطش الإلهي ولات حين مناص. يقوم رجل من ولاة الأمور من الوثنيين من جنوب شرق الهند سنة ١١٤٦هـ / ١٧٣٤م. ويستولى على بلاد المسلمين. ولا يزال يمتد ملكه وينمو سلطانه ويزداد انتشارا يوما فيوما إلى أن يقبض بكلتا يديه على بلاد الأمة المسلمة فيستولى على الكجرات ومالوه وناكبور وغيرها. ثم يموت ويخلفه ابنه على سرير الولاية والحكومة فتزيد أرجاء مملكته وتتسع أطرافها فتصل إلى وسط شمالي الهند وما يستطيع أحد من ولاة المسلمين صراعه وعراكه فيبلغ السيل الزبي ويصبح الخطب أدهى وأمر. فعند ذلك يريد الله أن يدرك المسلمين برحمته فينقذ في دهلي بنفثات الإمام ولي الله الدهلوي 'حزب التجديد والانقلاب' ويظهر في الوجود مجتمع إسلامي كما يقوله الفاضل الشيخ عبيد الله الديوبندي.^{٣٦} وأيضا أنه قال: انتخب الإمام الشاه ولي الله إماما فعمل على تبديل السلطنة وتجديدها على قواعد الخلافة الإسلامية سنة ١١٤٤هـ / ١٧٣٢م.

تأثير أفكاره السياسية

كان عصر الدهلوي أحد أكثر الفصول عاطفية للحركات الإسلامية الإحيائية في شبه القارة الهندية كما تقدم ذكره. ولنظريته الإسلامية

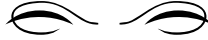
٣٦ محمد اليوسف البنوري: مجلة الإسلام، مصر، العدد ٢٥، اغسطس، ١٩٣٨م

السياسية في الهند المعاصرة أيضا اهتمام كبير خاصة في مناظرة الهندوس وطائفة الإسلام. إن مساهمته الأهم لمجتمعه هي تعليماته التي بقيت حية في الحياة الدينية للمسلمين الهنود وارتبطت بروحهم الداخلية لإعادة مؤسسة السلطة الإسلامية العامة في الهند.

كانت سمة الدهلوي المميّزة قدرته على مصالحة وجهات النظر المتعارضة وإرضاء كل جانب. الهدف الذي وراء هذه السمة هو وحدة المجتمع الإسلامي أو الأمة. وقد مكنته قدراته القوية من توفير التصالح وإيجاد قاعدة قوية للتعاون والانسجام بين السني والشيوعي. وموقعه الممتاز قرب مركز الدولة الإسلامية مكنه من إبداء وجهة النظر الصحيحة. لقد عمل بوسعه لجلب الاستقرار للإمبراطور المرشح فيحمي المسلمين الهنود من الكارثة.

وقد ناشد الحكام المسلمين والنبلاء والمثقفين لأن يكونوا مدركين للحالة المخيفة ونتائجها المحتملة. تكشف مراسلاته عديدا من عوامل السياسة الهندية في القرن الثامن عشر. ومن مراسلاته رسالة لها أهمية كبيرة. وهي رسالة إلى أحمد شاه الأبدالي حاكم أفغانستان. وكان فيها صورة شاملة للحالة السياسية في الهند. نادى الدهلوي أحمد شاه الأبدالي وطلب أن يجيئ إلى الهند. أستجاب الأبدالي لطلبه. وذلك بأن السلطان 'أحمد شاه الأبدالي' جاء من بلاد أفغانستان بجنوده الأبطال الكماة فرأى القوم آثاره في معارك حامية. ودارت رحى الحرب الزبون بين عباد الأصنام وعباد الإله الحق في مواقف 'فانيفت' على مسافة قريبة من قاعدة الهند 'دهلي'. وكانت مواقف حاسمة. فبلغت الدماء القنن واشتد القتال بين الفريقين وذلك سنة ١١٧٤هـ / ١٧٦٢م. وكم خر يومئذ من الوثنيين من قتلى وصرعى وقد غادرهم المسلمون لحما على

وضم. هكذا أذاقهم الله الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر
وبلغ عدد قتلاهم مائتي ألف فكان حادثا مشهودا في تاريخ الهند.
ولم يعيش الإمام الدهلوي بعد هذا الفتح كثيرا بل توفي سنة ١١٧٦هـ
/ ١٧٦٤م. إنه كان إماما لحزب من أنصاره وأتباعه المجاهدين المخلصين
الذين جعل الله على أيديهم هلاك المتغلبين من أعداء الله الوثنيين
وحفظ لهم قاعدة الهند وواسطة عقدها مدينة 'دلهي' حرسها الله. بل
هذا تأويل رؤياه التي تقدم ذكرها.
الأمر الهام الذي يحتاج أن يذكر أنه كان فكره السياسي والديني
مؤسسا على النظرية الفارسية والإسلامية في الملك.^{٣٧} وكذلك أنه يعتبر
محمود الغزنوي وأورنك زيب أبطاله بين الحكام المسلمين.



٣٧ السيد عطر عباس رضوي: الشاه ولي الله الدهلوي ووقته، ص: ٣٩٧.

الفصل الثاني

مصادر أفكاره

المركز الذي دارت عليه أفكار الدهلوي الفلسفية هو دين الإسلام. وعلى قوله كان الدين الإسلامي فقط مصدر القوة والشجاعة للمسلمين. وكذلك كان سبب خسران المسلمين هو عدم مبالاتهم بأحكام دين الإسلام. ولذلك يدعو المسلمين إلى تعاليم الإسلام. وكان له إيمان قوي بالفكر الإسلامي. وقد آمن بأنه إذا أقبل الفكر الإسلامي كاملا واستعمله المسلمون بأمانة فإن السلام سيعم وسيزدهر الإنسان وتتطور الحياة. وهكذا صرف الدهلوي هكذا طاقته إلى تجديد الفكر الإسلامي تجديدا عقليا مؤثرا من أجل الوقوف أمام تحديات العصر.

وكان الشاه ولي الله مدركا للهوّة بين الحياة التي ينطقها بها القرآن والحديث وبين الحياة التي أنشأها المسلمون لأنفسهم وكذلك كان مدركا للفرق بين العادات الاجتماعية والسياسية التي يعطيها الإسلام وبين العادات الاجتماعية والسياسية التي طورها المسلمون لأنفسهم منذ القرون السابقة. نستطيع أن نقسم مصادر أفكاره إلى ثلاثة أقسام. (١) القرآن (٢) السنة (٣) أفكار المفكرين المسلمين السابقين. وفيما يلي تفصيل الكلام عليها:

(١) القرآن

إن القرآن هو كلام الله المنطوق أوحى به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بطرق مختلفة ونزل على قلبه بكيفيات متعددة. وكان الوحي باللفظ والمعنى. وكان الدهلوي قد تعلم القرآن وأحكامه من والده الكريم. يرى الدهلوي في أسباب النزول كما يرى بعض الباحثين أن السبب في نزول الآية أو الآيات قد يرجع إلى وقوع حادث بعينه. ولكن حكمها يدوم ويستمر ويعم الجميع. وعلى ارتباطه بالسبب الخاص والخلفية المعينة يبقى حكمها على عموم المعنى ولا يقتصر على خصوص اللفظ والسبب. ومن الناحية البلاغية بلغ القرآن الذروة التي لا تسامى وهو كلام معجز لا يدانيه كلام آخر. ولهذا كان العرب الأوائل تأثروا به تأثرا شديدا بمجرد اجتماعهم إليه. ومع أن القرآن نزل منجما ومتدرجا مع المناسبات الفردية والاجتماعية لكنه يوفي الحاجات البشرية جمعاء بغض النظر عن الزمان والمكان ولهذا يعتبر العلم بالقرآن أعظم العلوم وأجلها. وسيظل القرآن الكريم محتفظا بهذه الميزة إلى يوم القيامة لأن الله تعالى تولاه بالحفظ والصيانة، نرى في حجة الله البالغة آيات القرآن واردة لإثبات الأمور التي قالها في الحجة.

(٢) الحديث

الحديث أيضا مصدر عظيم تأثر به الدهلوي كثيرا. يقول الأستاذ محمد ياسين مظهر الصديقي: «إن رأيه في تدوين الحديث واضح جدا، هو أن الأحاديث لم تدون في الصدر الأول وبدأ الإهتمام بكتابتها بعد القرن

الأول للهجرة وتم انجاز هذا العمل بعد القرن الثاني»^{٣٨} وأعطى كل فضيلة في تدوين الحديث للإمام مالك لما قال الدهلوي بأنه أصل كتب الحديث والفقهاء فبقية كتب الحديث كلها شروح للموطأ وتليه في الرتبة. وقد أقام الدهلوي الدلائل الحاسمة السديدة على فضيلة الموطأ ورفعته قدره ومنها: (١) معظم رواته من أهل المدينة (٢) كلهم معروفون ومجمع على ثقتهم وعدالتهم (٣) عدد الرواة أقل من الثلاثة أو الأربعة (٤) معظم رواته ممن تسلم عمر (ر) بأقضيتهم وفتاواهم.

وقد تهيأ الإمام الدهلوي للتوفيق بين الأحاديث المتعارضة في ظاهرها. وفي الواقع هذا العمل^{٣٩} صعبة للغاية. ولكن طبق الدهلوي بين الأحاديث الصحاح تطبيقاً عملياً لا يوجد له نظير في الهند، ويدل هذا على قوته ورفعته مكانه. يقول الأستاذ محمد ياسين مظهر الصديقي: «وبهذا التبحر والإمام يصير الباحث متمكناً من فقه الحديث ومطلعاً على أسراره وخبراته بدوائله. وقد قام قبل الدهلوي الإمام الغزالي في 'الإحياء' والإمام عز الدين بن عبد السلام في 'القواعد الكبرى' وغيرهما من المحدثين بقدر ما توفرت لهم من إمكانيات بإزاحة الستائر عن أسرار الأحاديث ولكنهم لم ينجحوا كثيراً وكانت نسبة نجاحهم ضئيلة جداً. وقد اختص الله الدهلوي بهذا العمل الجليل وأودع فيه صلاحيات هائلة وكفاءات جبارة لتحقيقه وكشف أسرار الدين وإدراك كنه الحديث الشريف واستجلاء روحه. وتوجد نماذج كثيرة لتبحره العلمي في كتبه ومؤلفاته، غير أن عمله العبقري في هذا المجال هو كتابه 'حجة الله

٣٨ الأستاذ محمد ياسين مظهر الصديقي: 'الإمام الدهلوي عرض موجز لحياته وفكره - عرض موجز لحياته وفكره' (التعريب: سيد عليم أشرف الجائسي)، مركز الشاه ولي الله الدهلوي للبحوث العلمية، معهد العلوم الإسلامية، جامعة عليكرة الإسلامية، عليكرة، ٢٠٠١م، ص: ٥٧.

٣٩ عملية التوفيق بين الأحاديث.

البالغة'. ولم يترك فيه بابا من أبواب الدين والاجتماع إلا وطرقه فحل عقدهما وعالج مشاكلهما.^{٤٠}

(٣) أفكار المفكرين المسلمين السابقين

قد أثر في الدهلوي كثير من العلماء الكتاب المفكرين في العالم الإسلامي. سنقول عن البعض الذين أثروا في الفكر السياسي والفكر الاجتماعي والفكر الفلسفي. وفي غيرها أثر فيه كثيرا علماء التصوف ومشايخ الحديث مثل الشيخ محي الدين عبد القادر الجيلاني والشيخ محي الدين بن العربي والشيخ أحمد السرهندي. قد نوه الدهلوي في حجة الله البالغة أسماء الإمام الغزالي والخطابي^{٤١} وعز الدين بن عبد السلام.^{٤٢} ومن الذين أثروا في الفكر السياسي والاجتماعي الفارابي وابن سينا ومسكويه والدواني وأحمد السرهندي. ويقال أن الفارابي أبرز أولًا الأفكار التي تخلط تأسيس الأنبياء مع الإتساعات الثقافية. وأبرزه الدهلوي كاملا في الحجة. وقد رأينا في الفارابي ميل تقسيم المجتمع والسياسة على الأسس الأخلاق. والموضوع الآخر هو السعادة والفوز في الآخرة وفيها قد شارك الفارابي والدهلوي.

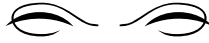
والإمام الماوردي هو العالم الآخر الذي أثر في الدهلوي. وكتابتهما عن الإمامة والخلافة كشيئ واحد. وكذلك آراء الماوردي عن القضاء والجهاد

٤٠ الأستاذ محمد ياسين مظهر الصديقي: 'الإمام الدهلوي عرض موجز لحياته وفكره - عرض موجز لحياته وفكره' (التعريب: سيد عليم أشرف الجائسي)، مركز الشاه ولي الله الدهلوي للبحوث العلمية، معهد العلوم الإسلامية، جامعة عليكرة الإسلامية، عليكرة، ٢٠٠١م، ص: ٦٢.

٤١ هو ابو سليمان احمد بن محمد البستي صاحب 'معالم الإسلام' (الحجة: ٦ / ١)

٤٢ الامام الدهلوي: حجة الله البالغة، كتب خاتمة رشيدية، دلهي، ١٣٧٣هـ ص: ١ / ج

في كتابه «الأحكام السلطانية» هي نفسها آراء الدهلوي عن هذين. ويجيء التعجب إن لم يؤثر فيه مثل الإمام الغزالي الذي لمع في السلسلة العليا للفكر الإسلامي. وقد يفهم كل من الذي يبحث التاريخ الإسلامي، المشاركة بين الغزالي والدهلوي في الفلسفة والتصوف. وكلهما مندوبان أسرار العلوم الدينية والعقلية. وكذلك كتابهما «الإحياء» و«الحجة» مثل هذين النبيلين.



الباب الثالث
حجة الله البالغة

الفصل الأول : المضمون في الحجة ومنهجه فيها
الفصل الثاني : القيمة العلمية للحجة

الباب الثالث

حجة الله البالغة

إن من أروع الأعمال التي قام بها الشاه ولي الله الدهلوي في حياته كتابه العظيم « حجة الله البالغة ». هي العمدة في جميع ما ألف وصنف من الكتب والرسائل في علم أسرار الشريعة. وهو من الكتب التي حازت رضى العلماء وطلبة العلم على السواء. فلما يتصف هذا الكتاب بخصائص وميزات انفرد بها عن سائر الكتب التي عالجت أسرار أحكام الشريعة. فموضوعاته مبتكرة وأسلوبه جيد وعبارته عربية ناصعة واضحة. ليس قول 'رحيم بخش' في تعريف هذا الكتاب عجيبا. إنه قال:

«إنه كتاب عظيم قد فسر فيه جميع العبادات والمعاملات بكل شرح وبسط على غرار التحقيق. وقد أبرز فيه اختلاف مذاهب الفقهاء والمحدثين بأحسن الأساليب وبكل براعة وحذف. وفي الحقيقة قام المؤلف باستئناف بناية فقه الحديث مراعيًا تحقيق المسائل الفقهية والمذاهب الأربعة - الحنفي والشافعي والمالكي والحنبلي - مستنبطًا من مذاهب الصحابة والتابعين وأقوال جماعة من الفقهاء المحدثين. فقد

أبان أسرار الحديث ومصالح الأحكام بطراز بديع لم يعهد له مثيل في المصنفين القدامى».^{٤٣}

يقول الدهلوي نفسه متحدثاً عن أهمية الموضوع:

«هو علم أسرار الدين الباحث عن حكم الأحكام وملياتها وأسرار خواص الأعمال ونكاتها فهو والله أحق العلوم أن يصرف فيه - من أطاقه - نفائس الأوقات. ويتخذة عدة لمعاده بعد ما فرض عليه من الطاعات. إذ به يصير الإنسان على بصيرة فيما جاء به الشرع وتكون نسبته بتلك الأخبار كنسبة صاحب العروض بدواوين الأشعار.... وبه يأمن من أن يكون كحاطب الليل او كفائض سيل او يخبط خبط عشواء ويركب متن عمياء...»^{٤٤}

وقد صدق صاحب الثقافة الإسلامية في الهند فيما قال عنه:-

«وإذا سمعت من لفظه الرقيق المعرب البديع خيل إليك كأنها هو رجل نشأ ببادية من علماء هوازن او كأنها أدبته امرأة من سفلى بني تميم....»^{٤٥}

ويقول صاحب نزهة الخواطر راويا عن ولد الدهلوي عبد العزيز:-
«وكتاب حجة الله البالغة هي عمدة تصانيفه في علم أسرار الحديث ولم يتكلم في هذا العلم أحد قبله على هذا الوجه - من تأصيل الأصول وتفريع الفروع وتمهيد المقدمات والمبادئ واستنتاج المقاصد منها إلى المجلس والنادي. وإنما يستشم نفحات قليلة من هذا العلم في كتاب 'إحياء علوم الدين' للغزالي وكتاب 'القواعد الكبرى' للشيخ عز الدين بن عبد السلام المقدسي. وربما يوجد بعض فوائد هذا العلم في مواضع من

٤٣ رحيم بخش: حيات ولي، افضل المطابع، دلهي، ص: ٣٠١.

٤٤ الإمام الدهلوي: حجة الله البالغة، كتب خانه رشيدية، دلهي، ١٣٧٣هـ ص: ١ / ٣.

٤٥ عبد الحي الحسني: الثقافة الاسلامية في الهند، ص: ٤٦.

الفتوحات الملكية للشيخ الأكبر و'الكبريت الأحمر' للشيخ ابن العربي. وكذا مؤلفات تلميذه الشيخ الكبير الشيخ صدر الدين القنوجي. وقد جمعها الشيخ عبد الوهاب الشعراي في كتاب 'الميزان'. انتهى»^{٤٦}

عنوان الكتاب

وقد سمى الإمام الدهلوي كتابه 'حجة الله البالغة' بهذا الإسم مستنبطاً من الآية القرآنية - «قل فله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين»^{٤٧} قاله الدهلوي نفسه في خطبة هذا الكتاب قبل المقدمة.^{٤٨}

٤٦ عبد الحي الحسني: نزهة الخواطر، مكتبة دار عرفات، راي بريلي، ١٩٩٢، ص: ٤١٤ / ٦

٤٧ القرآن: ٦ / ١٤٩

٤٨ الإمام الدهلوي: حجة الله البالغة، كتب خانة رشيدية، دلهي، ١٣٧٣هـ ص: ١ / ٤

الفصل الأول

المضمون في الحجة ومنهجه فيها

ويتضمن هذا الكتاب خطبة الكتاب ومقدمة وقسمين كبيرين (١) القسم الأول في القواعد الكلية التي تستنبط منها المصالح المرعية في الأحكام الشرعية (٢) القسم الثاني في بيان أسرار ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم تفصيلاً. وبعد إكماله القسم الثاني ذكر أبواباً عن السير والفتن والمناقب. وإذا نظرنا حسب القسمة إلى الجزئين هذا كما يأتي....

الجزء الأول

- ‹ خطبة الكتاب
- ‹ المقدمة
- ‹ القسم الأول
- ‹ القسم الثاني- إلى باب ثياب المصلي

الجزء الثاني

- ‹ باقي القسم الثاني- من باب القبلة إلى آخره
- ‹ أبواب نادرة من السير والفتن والمناقب

والعناوين الرئيسية في القسم الأول كما عرضها المؤلف كالآتي:

- ‹ المبحث الأول في أسباب التكليف والمجازة
- ‹ المبحث الثاني مبحث كيفية المجازة في الحياة وبعد الممات
- ‹ المبحث الثالث مبحث الإرتفاقات
- ‹ المبحث الرابع مبحث السعادة
- ‹ المبحث الخامس مبحث البر والإثم
- ‹ المبحث السادس مبحث السياسات المليية
- ‹ المبحث السابع مبحث استنباط الشرائع من حديث النبي صلعم تتمه وبعد كل واحد منها أورد أبوابا كثيرة. وقلما يستعمل المؤلف كلمة 'فصل'. والفصل الواحد الذي أوردته في آخر التتمة هو فصل في عدة أمور مشكلة من التقليد واختلاف المذاهب وغيرهما. وكذلك جاءت في كتابته مقدمة مناسبة تحت المبحث الخامس: مبحث البر والإثم باسم مقدمة في بيان حقيقة البر والإثم.

والعناوين الرئيسية في القسم الثاني كما عرضها المؤلف كالآتي:

- ◀ من أبواب الإيمان
 - ◀ من أبواب الاعتصام بالكتاب والسنة
 - ◀ من أبواب الطهارة
 - ◀ من أبواب الصلاة
 - ◀ من أبواب الزكاة
 - ◀ من أبواب الصوم
 - ◀ من أبواب الحج
 - ◀ من أبواب الاحسان
 - ◀ من أبواب ابتغاء الرزق
 - ◀ من أبواب تدبير المنزل
 - ◀ من أبواب سياسة المدن
 - ◀ من أبواب المعيشة
- نتعجب حينما نرى إتيان المؤلف مقدمتين تحت 'باب المقامات والأحوال' الذي جاء تحت عنوان "من أبواب الإحسان". وهما مناسبتان عظيمتان (١) المقدمة الأولى في إثبات العقل والقلب والنفس وبيان حقائقها والدليل على ذلك نقلا وعقلا وتجربة واتفاق العقلاء (٢) المقدمة الثانية في بيان كيفية تولد المقامات والأحوال منها.

منهج المؤلف في الكتاب

لعل الكتابة عن منهج العالم مثل الدهلوي وطرقه وأساليبه تعد من المواضيع الهامة والمتميزة والصعبة إلى حدّ ما، نظرا لما يتطلبه هذا النوع

من البحث من فن واطلاع ودراية وتمكُّن، بل ودربة تقتضي من الباحث أن يلم بكل القضايا والمسائل والمناقشات. والدليل الذي كتبه ذلك العالم حتى تخرج دراسته متكاملة متميزة يعطي القارئ تصورا كليا مفصلا للمنهج الذي سار عليه ذلك العالم.

وهذا مما لم يتوافر في هذا الفصل لاعتبارات عدة لعل من أبرزها قصور الجهد ومحدودية المدة وضيق المصاحبة المخصصة لمثل هذه الدراسة ولكن ما لا يدرك جله لا يترك كله وبالتالي فإن العرض سيكون مركزا على بيان منهج المؤلف في الظهور على أسرار الشريعة وأحكامها. يمكن إجمال منهج المؤلف في كتابه في النقاط التالية:

١. أورد المصنف خطبة الكتاب الطويلة. وبيّن فيه سبب تأليفه هذا الكتاب بقوله: «وبينا أنا جالس ذات يوم بعد صلاة العصر متوجها إلى الله إذ ظهرت روح النبي صعلم وغشيتني من فوقني بشيء خيل إلى أنه ثوب ألقى على ونفث في روعي في تلك الحالة أنه إشارة....» حتى قال: «ثم رأيت الإمامين الحسن والحسين (ر) في منام وأنا يومئذ بمكة كأنهما أعطياي قلما وقالوا هذا قلم جدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.... ثم أرجع قهقري إذ تفتن أجل إخواني لدي وأكرم خلاني علي محمد المعروف بالعاشق لا زال محفوظا من كل طارق وغاسق بمنزلة هذا العلم وفوائده....»^{٤٩} يعني أن الشيخ علي محمد العاشق قد أجبر الدهلوي على الكتابة.
٢. بيّن المؤلف الموضوع بالإيماء والإشارة في خطبة الكتاب نفسها للحجة بقوله: «إن عمدة العلوم اليقينية ورأسها ومبنى الفنون الدينية وأساسها هو علم الحديث الذي يذكر فيه ما صدر من

٤٩ الإمام الدهلوي: حجة الله البالغة، كتب خانة رشيدية، دلهي، ١٣٧٣هـ ص: ١ / ٣ - ٤.

أفضل المرسلين صلى الله عليه وسلم من قول أو تقرير. فهي مصابيح الدجى ومعالم الهدى وبمنزلة البدر المنير“. وأوضح بعد ذلك بقوله: ”وإن أدق الفنون بأسرها عندي وأعماقها محتديا وأرفعها منارا وأولى العلوم الشرعية عن آخرها فيما أرى وأعلاها منزلة وأعظمها مقدارا هو علم أسرار الدين الباحث عن حكم الأحكام....“^{٥٠}

٣. إنه يرغب القارئ ببيان فضيلة هذا العلم بقوله: ”من انقاد لها (لعمدة العلوم) ووعى فقد رشد واهتدي وأوتي الخير الكثير. ومن أعرض وتولى فقد غوي وهوي وما زاد نفسه إلا التخصير.“^{٥١}

٤. إنه أورد آراءه بالنسبة الى نفسه فقال مستئنفا إما بكلمة ’عندي‘ أو ’فيما أرى‘ أو ’أقول‘ ومثل ذلك كثير في كتابه. وأظهر مراده بهذا الكتاب موردا قول ”إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب“. ويقول بعد ذلك: ”وها أنا برئ من كل مقالة صدرت مخالفة لآية من كتاب الله أو سنة قائمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو إجماع القرون المشهود لها بالخير أو ما اختاره جمهور المجتهدين ومعظم سواد المسلمين. فإن وقع شيء من ذلك فإنه خطأ ورحم الله تعالى من أيقظنا من سنتنا أو نبهنا من غفلتنا.“^{٥٢}

٥. إنه أجاب لمن ادّعى بأن الإجماع ليس دليلا في الشرع بقوله ’أو إجماع القرون المشهود لها بالخير‘. وكذلك لمن منعوا حصول العلم بالكشف ووجود الصوفية بقوله ”ولا تتبين أسرار (الدين) إلا من تمكن في العلوم الشرعية بأسرها واستبدّ في الفنون الإلهية عن

٥٠ المصدر السابق: ١ / ١ - ٢.

٥١ المصدر السابق: ٢ / ١

٥٢ المصدر السابق: ج ١ / ١٠

آخرها ولا يصفو مشربه إلا لمن شرح الله صدره لعلم لديني وملاً قلبه بسرّ وهبي....”^{٥٣} ومع ذلك الأسباب التي سبقت من قبل أيضاً تكون جواباً لهم.

٦. إنه أوضح النفرة لمن انتحلوا في الإجماع بعد الإجتهد بقوله ”أما

هؤلاء الباحثون بالتخريج والإستنباط من كلام الأوائل المنتحلون مذهب المناظرة والمجادلة. فلا يجب علينا أن نوافقهم في كل ما ينتمون به ونحن رجال وهم رجال والامر بيننا وبينهم سجال“^{٥٤}

٧. إنه قد تحرى الدقة والأمانة في إيراد الأمور فيقول بعد انتهاء الباب او مسألة واحدة ’والله أعلم’. وكذلك يرى في كتابه قول ’أعلم’ كثيراً للإنتباه.

٨. استخدم المؤلف منهجاً متميزاً في الأدلة والإستدلال. فلا يورد الدليل إلا عند الحاجة إليه. ويستخدم مع كل قضية مطروحة ومسئلة غريبة ما يناسبها من أدلة. فهو يقدم الإستشهاد بنصوص الوحيين على ما سواهما.

٩. التبويب والتنظيم والعناوين الصغيرة: جعل المؤلف كتابه قسمين. وكل قسم يتفرع منه أبواب عديدة. وكل باب يحتوي على عدة مباحث. بل المبحث الواحد قد يحتوي على العديد من الفقرات. وكل ذلك تم بشكل مرتب ومتناسق.

١٠. إنه استقبل طريقاً خاصاً به لكشف الأمور الدقيقة وأسرار العبادات والتكليف.

٥٣ المصدر السابق: ج ١ / ٣

٥٤ المصدر السابق: ج ١ / ١١

١١. قد استعمل الدهلوي بعض المصطلحات التي انفرد بها الدهلوي نفسه.

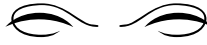
وإليك نموذجاً يمثل ما ذكر أعلاه:

١. فكرة 'التشبيح' التي تظهر كثيراً عنده. كقوله "إن من الإنسان اليقظان بالطبع يتفطن بالأمر الجامع بين الكثرات ويمسك قلبه بالعلة دون المعلولات والمملكة دون الأفاعيل. ومنه الوسنان بالطبع يبقى مشغولاً بالكثرة عن الوحدة وبالأفاعيل عن الملكات وبالأشباح عن الأرواح".^{٥٥}

٢. عالم المثل: قد أفرد الدهلوي باباً لهذا الإصطلاح.

٣. الملاء الأعلى: قد أفرد باباً لهذا أيضاً.

٤. حقيقة الروح وغيرها كثيراً....



٥٥ المصدر السابق: ج ١ / ٣٣

الفصل الثاني

القيمة العلمية للكتاب

لقد تميز هذا الكتاب بمزايا علمية. قلما توجد في نظيره من الكتب حيث ضمّ بين دفتيه كمًا هائلًا من المسائل العلمية المبوّبة في بيان أسرار الشريعة. ولعل هذا الكشف والتبيين سيؤدي دوره في الأمور التالية.

١. نال هذا الكتاب مكانة مرموقة بين العلماء والمصنفين. وقد لاقى القبول العام في صفوف الباحثين والمحققين ببحوثه العميقة ودراسته الدقيقة في علم الأخلاق والفلسفة الإسلامية.

٢. هذا الكتاب جمع بين علوم الفقه والحديث وأسرار مصالح الأعمال.

٣. أثبت هذا الكتاب عقائد أهل السنة بالأدلة والحجج. وطهرها من

قذى أهل المعقول. وأعطى علم الإبداع والخلق والتدبير والتدلي مع طول وعرض. وعلم استعداد النفوس الإنسانية لجمعها وأفاض عليه الحكمة العلمية وتوفيق تشييدها بالكتاب والسنة وتمييز العلم المنقول من المحرف المدخول. وفرق السنة السننية من البدعة غير المرضية.^{٥٦}

٤. ظلّ هذا الكتاب علم الكلام الجديد الذي يجد فيه أي إنسان يريد الحق مع سلامة الفطرة وطيب القصد أرواء كاملا لخليله وزادا

٥٦ عبد الحي الحسني: نزهة الخواطر، ج ٦ / ٤١٥

- كافيا لقناعته وطمأنينته. ولم يؤلف كتاب في تأييد أي ديانة من الديانات وتفسيرها اللبق الحكيم وفلسفتها الجامعة المتناسقة كهذا الكتاب في منزلته ومكانته.^{٥٧}
٥. هذا هو الكتاب الواحد الذي يبين عن عالم المثل وملاً الأعلى حتى عصر الدهلوي.
٦. يبين هذا الكتاب فلسفة الدين والقانون والفقه وعلم الحسن وعلم النفس وعلم الاجتماع وعلم الاقتصاد وعلم السياسة وعلم الإنسان (الانثروبولوجيا) والتصوف وغيرها.
٧. يبين هذا الكتاب جميع المجالات الاجتماعية والجمهورية التي ترد متعلقة بالإسلام مثل التطهير الروحي والتجارة والتصرفات المالية وسياسة الملوك والحكومة والعدالة والتعلقات الأممية (الدولية العالمية).
٨. يواجه هذا الكتاب هذه التحديات والمقتضيات التي وجدت في عهد 'العقلانية' الخاصة الذي كان بعد القرن الثاني عشر الهجري بقليل. قد أوشك - لأسباب تعليمية وتربوية ومدنية وعقلية وعلمية وفكرية - على الظهور في الهند وفي العالم الإسلامي كله. فنزعة البحث والتفتيش عن مصالح الشريعة الإسلامية وحكمها وأسرارها التي كادت تعمّ وتسود. والتي كانت تنهياً بسببها عقول كثيرة للضلال والانحراف وأقلام كثيرة للزيغ والإنطلاق. وكان الحديث والسنة النبوية مستهدفة للشبهات والإعراضات.
٩. يستطيع لهذا الكتاب أن يحول الإنسان إلى إنسان الذي له كماله.

٥٧ ابو الحسن علي الندوي: الإمام الدهلوي (رجال الفكر والدعوة في الإسلام / الجزء الرابع)، دارالعلم للنشر والتوزيع، الكويت، ١٩٩٦م، ص: ١٦٧.

١٠. وصدق أبو الحسن علي الحسني الندوي عن حجة الله البالغة لما قال: "إن كتاب حجة الله البالغة للإمام الدهلوي يعد من جلائل أعماله العظيمة ومآثره العلمية الكبرى التي عرضت فيها الشريعة الإسلامية والدين الحنيف في صورة جامعة متناسقة مدعمة بالحجج والدلائل الناصعة القوية. وقدمت فيها أبواب الإيمان والعبادات والمعاملات والاخلاق والاجتماع والمدنية والسياسة والإحسان بترتيب وترابط ونظام وفي تناسق واتزان بحيث يخيل إليك كأنها لآلاً العقد المنظوم او حلقات سلسلة مترابطة مع توضيح الفروق بين الأصول والفروع والمقاصد والغايات والوسائل والآلات وبين الحقائق الدائمة المستقلة والأمور العارضة المؤقتة....."^{٥٨}

ميزته اللغوية

كان عصر الدهلوي عصر التفكك السياسي والإضطرابات والحروب الداخلية في العالم الاسلامي. إن الخلافة العثمانية فقدت سيطرتها ومهابتها. وفي الوقت ذاته كان الإستعمار العربي قد بدأ يدبّ ديباً من وراء الأستار وتحت شعارات خادعة. وفي هذه الأوضاع الرهيبة قام الإمام الدهلوي بمهمة عظيمة من الإصلاح والتجديد. وشهد التاريخ أنه أصبح رمزا لتغيير مجرى الأحداث في مجال العلم والمعرفة. واعتبر التاريخ شخصيته معلماً يفصل ما بعده عما قبله، وتجلّى عبقرية هذا الرجل النابغ في أكثر مجال. ومنها ما يلي:-

٥٨ المصدر السابق: ١٦٧.

١. أسلوب الدهلوي الأدبي الرائع لا يجعلك تحس بشيء من الثقل حين تقرأه ولا يجنح بك إلى الغموض فتنفّر منه. فهو يجمّل ويفصل في عبارات سهلة لا تكلف في ألفاظها متلاحقة المعاني حتى لا يتداخل بعضها في بعض فيشق عليك استيعابها.^{٥٩}
٢. فالأدب العربي فقد تدهور تدهورا كبيرا إثر سقوط بغداد عام ٦٣٤هـ / ١٢٥٨م. فقد خرب هذا الحادث الفاجع مركز الثقافة العربية المزدهرة. فاللغات الأخرى مثل الفارسية والتركية وغيرها قد انتزعت مكان اللغة العربية التي كانت لغة رسمية ولغة عامة للعالم الإسلامي. فأصبحت هذه الحوادث مهلكة على اللغة العربية. ونتيجة لهذا فقدت اللغة العربية سذاجتها وجمالها ورونقها وبهاءها.^{٦٠} فحالة اللغة العربية في الهند ليست مختلفة عن حالها في العالم كله. يعني لقيت اللغة العربية والدراسات الإسلامية بالإنحطاط والتدهور والتخلق إلى حد كبير خاصة بعد سقوط الحكم المغلي على يد الإنجليز. فالدهلوي قد ألف هذا الكتاب في ذلك العصر المرتبك وفي عصر الإنحطاط الفكري والتدهور اللغوي. فقد أبدع المؤلف ما أبدع في النثر العربي. وهو فريد في تاريخ الهند الإسلامي في هذا الشأن.
٣. عربية هذا الكتاب ناصعة خالية من الأثر المحلي. وأسلوبه رصين متين يجذب القلوب ويلامس الوجدان. قلما نجد العلماء الذين خلت عربيتهم من الأسقام الأدبية وتطابقت الذوق السليم وتحلت بالسلاسة والسذاجة والرزانة. وإذا تتبّعنا تاريخ الهند في شأن الأدب والإنشاء لا نستطيع أن نرى العلماء عدا غلام علي آزاد البلغرامي وبعض المصنّفين الهنود مثل الدهلوي.

٥٩ محمد عبد الله سلمان: مجلة الأزهر، ج-٨، ٧ (رمضان، شوال) / ١٩٦٤م، ص: ٨٨٦.

60 Islamic culture: vol-76 , No-3, July 2003, Hyderabad, Deccan, India

٤. قال في شأن هذا الكتاب الأستاذ أبو الحسن علي الندوي: إن الإمام الدهلوي هو المصنف الأول من المصنفين الهنود الذين نجد في تصانيفهم وبالأخص 'حجة الله البالغة' السلامة والسلاسة وقدرة البيان وعذوبة اللسان مثل أهل اللغة. وعربيته تتحاذى بعربية أدباء العرب. فلا ترى فيها الأسقاط والأسقام التي توجد في غالب الأحيان في كتابات علماء العجم.^{٦١}
٥. هذا الكتاب خال عن تحسين اللفظ وسحر البيان اللذين كان يعتبرهما علماء عصر الدهلوي اعتبارا شديدا ويتكلفون تكلفا تحديا. فيقول السيد مناظر أحسن الكيلاني ما معناه - قد ساد الجمود والتعطل على عقول العلماء والفضلاء لا في الهند فقط بل في جميع العالم الإسلامي منذ زمن طويل. وخلال تلك القرون الماضية لم يلد أي مصنف يذكر وبالرغم من وجود الذوق والرغبة الشديدة في الأدب والإنشاء كلهم كانوا يعملون بالألفاظ ويتحملون فيها. ولونظرنا في مذكرات علماء الإسلام التي أعدت في العصر الراهن لم نجد غير القوافي والألفاظ المسجعة سطرا واحدا في ترجمتهم وتاريخهم. هكذا كان الحال في كتابات جميع العلوم والفنون الأخرى.^{٦٢}
٦. ومن ميزاته أيضا أنه لا يطيل الكلام إطالة مملة. ولا يقصره تقصيرا مخلا. بل يسلك مسلك "خير الكلام ما قل ودل". فيقتصر في المقال. كأنه يؤيد أشد التأييد للتوازن والإعتدال. وهذه الميزة الخاصة تتجلى في أسلوبه.

٦١ أبو محمد عبد الحق حقاني: نعمة الله السابعة، كتب خانة رحيمية، ديوبند، سهارنפור، ١ / ٢٩

٦٢ المصدر السابق، ص: ٢٣٤.

غايته القصى

وكان الدهلوي يعرف حق المعرفة أنه لم يأخذ القلم لإظهار كمالات اللسان ولايقاع الناس في الحيرة والدهشة بقوة البيان. بل غايته القصى هي تنوير الأذهان والقلوب بأضواء كلام الله عزوجل وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم. فقد بيّن الغاية النبيلة مميزا نفسه عن اللغويين الماهرين والأدباء المتشدين في آخر أبواب هذا الكتاب الجليل. وقد دعم مقاله بأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم فيقول:

اعلم أن التنطع والتشدد والتعذر في الكلام والإكثار من الشعر والمزاح وترجية الوقت بأسمار ونحوها إحدى المسليات التي تشغل عن الدين والدنيا. وما يقع به التفاخر والمراءاة. فكان حالها كحال عادات العجم فكرهها النبي صلى الله عليه وسلم وبيّن ما في ذلك من الآفات. ورخص فيما لا يتحقق فيه معنى الكراهة. وإن اشتهب بادي الرأي وقال الرسول صلى الله عليه وسلم هلك المتنطعون. قالها ثلاثا. وقال الحياء والعي شعبتان من الإيمان. والبذاء والبيان شعبتان من النفاق.^{٦٣}

ومن خلال تبويب الدهلوي للحجة

كوّن الدهلوي القسم الأول من كتابه في سبعة مباحث. تناول فيها مواضيع متعددة عن خلق الإنسان والقوى التي تمتزج في نفسه من حيث دوافع الخير والشر وسر التكليف له ومستقبله في اليوم الآخر وما إليها. وفي هذه الأبواب المستفيضة تابعت نظراته العميقة في بيان الحكمة والمصالح المرعية التي أرادها الشارع لعباده لتحقيق سعادتهم

٦٣ الإمام الدهلوي: حجة الله البالغة، كتب خانة رشيدية، دلهي، ١٣٧٣هـ ص: ٢ / ٥٤٦.

الدينوية والأخروية. والمتأمل في البحث الأول - مثلا - يرى حديثه عن أسباب التكليف والمجازاة للإنسان. وقد توسع في أبوابه بشكل منطقي مستدلا بنصوص من القرآن والسنة كما جاء في الباب الأول الذي التزم ترتيب النتائج الى مقدماتها فيقول: اعلم أن لله تعالى بالنسبة لإيجاد العالم ثلاث صفات مترتبة:

الأولى: الإبداع وهو إيجاد شيء لا من شيء فيخرج الشيء من كتم العدم بغير مادة واستشهد لهذا بقول الرسول صلى الله عليه وسلم 'كان الله ولم يكن شيء قبله'

الثانية: الخلق وهو إيجاد الشيء من شيء كما خلق آدم من التراب كما قال تعالى «إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب»^{٦٤}. ووصف بهذه الأشياء بأنها ذات أجناس وأنواع ولكل منهما خواص. وأنها لا تتفك عما جعلت لها من الخصوصية فكما أنه تعالى خلق الإنسان من تراب وخلق الجان من النار، كما جاء في القرآن «وخلق الجان من مارج من نار»^{٦٥}.

الثالثة: التدبير وهو تصريف شؤون المخلوقات. وفيه إشارة إلى موقع الحكمة التي تسير موافقة حوادثها للنظام الذي ترتضيه حكمته التي تفضي إلى المصلحة التي اقتضاها جوده كما ينزل من السحاب مطرا ويخرج به نبات الأرض ليأكل منه الناس والأنعام.^{٦٦}

بعض الحكم التي في الحجة

قد أورد الدهلوي حكما كثيرة في الحجة. فالنظر إلى بعض منها يوردنا المعرفة عن معلومات الدهلوي. والحكمة الواحدة هي أنفة الذكر يعني

٦٤ سورة آل عمران: ٥٩

٦٥ سورة الرحمن: ١٥

٦٦ الإمام الدهلوي: حجة الله البالغة، كتب خانة رشيدية، دلهي، ١٣٧٣هـ ص: ١ / ١١ - ١٢

ما في إنزال المطر. وقد نبه إلى حكم أخرى التي قد تكون في ظاهرها لا تواكب نظام الخصوصيات لأجناسها وأنواعها. وسمى هذه الحكمة بحسب آثارها بما يتحقق بها من المصالح بعد أن جعل لكل سبب أثرا ولكل مقدمة نتيجة ولكل موجود خصوصية. فقال:

«والشيء إذا اعتبر بسببه المقتضى لوجوده كان حسنا لا محالة كالقطع حسن من حيث أنه يقتضيه جوهر الحديد»^{٦٧} ثم يستدرك لهذه الخاصة إن كانت ذات أثر يلحق ضررا - فيري فيها ظاهرة جديدة - وإن كانت حكمة الله تبدو وفي تدبيره هذه الخصوصية بتحويلها من طبيعتها إلى ما يخالفها لتتحقق المصلحة بها باعتبار الآثار غير المحمودة او عدم حدوث شيء آثاره مطلوبة وإذا تهيأت الأسباب بفضل خصوصية الشيء حسب نظامه المناسب في خلقه - اقتضت رحمة الله بعباده ولطفه بهم وعموم قدرته على الكل وشمول علمه بالكل أن يتصرف في تلك القوى والأمور الحاملة لها بالقبض والبسط والإحالة والإلهام حتى تفضي تلك الجملة إلى الأمر المطلوب.^{٦٨}

وقد صور هذه الحكم الالهية التي وصفها بالسمات الأربعة السابقة بأمثلة فقال: أما القبض فمثاله ما ورد في الحديث يعني أن الدجال يريد أن يقتل العبد المؤمن في المرة الثانية فلا يقدره الله تعالى عليه مع صحة داعية القتل وسلامة أدواته. وأما البسط فمثاله أن الله أقدر بعض المخلصين من عباده في الجهاد [هنا يذكر واقعة خيبر حينما غزا علي (ر) بباب حصن خيبر] على ما لا يتصوره العقل من مثل تلك الأبدان ولا من أضعافها. وأما الإحالة فمثالها جعل النار هواء طيبا لإبراهيم عليه الصلاة

٦٧ المصدر السابق: ج ١ / ١٢

٦٨ عبد الرزاق قاسم: منهج الدهلوي بين المصالح والحكمة الشرعية(مقال). آداب الرافدين، ٢٤ شعبان ١٣٩٧، ص: ٥١٤.

والسلام. وأما الإلهام فمثاله قصة خرق السفينة وإقامة الجدار وقتل الغلام وإنزال الكتب والشرائع على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام....^{٦٩} وقد يلاحظ بأن الحجة تسترسل في سرد وبيان أنواع الحكمة الشرعية في مواضيع تناولت حياة الإنسان عموماً منذ نشأته وتعامله مع الناس في شتى سلوكه وتصرفاته بأسلوب منطقي واستنتاجات عقلية كما يلاحظ أن مؤلفه الدهلوي يستعين كثيراً بالمسائل الكلامية الإعتقادية تحليلاً وتديلاً على وجهة نظره في تجليه الحكمة وإيضاحها كما بين ذلك في الأمثلة السابقة.

ومن نماذج بحوثه في العلاقات الإنسانية المتعاطفة ما صوره من الحكمة في الروابط الاجتماعية والأحوال الشخصية ما بين الزوج وزوجته وأولاده وحسن الصحبة. فذكر منها عشرات المصالح والحكم. ومنها ما جاء في باب تدبير المنزل فقال: وأوجبت مزاحمات الرجل على النساء وغيرتهم عليهن أن لا يصلح امرهم إلا بتصحيح اختصاص الرجل بزوجه على رؤوس الأشهاد وأوجبت رغبة الرجل في المرأة وكرامتها على وليها وذبة عنها أن يكون مهر وخطبة وتصدٍ من الولي. وكان لو فتحت رغبة الأولياء في المحارم لأفضي ذلك إلى ضرر عظيم عليها من عضلها عن ترغب فيه وألا يكون لها من يطالب عنها بحقوق الزوجية مع شدة احتياجها إلى ذلك....^{٧٠}

والمتأمل في الحكم التي سردها الدهلوي عن العلاقات الشخصية تتضح له نظراته في إبراز الجانب الاجتماعي في صورته المتماسكة الرصينة التي توفر الشهادة للإنسان وتحفظ القيم الكريمة. أما المعاملات

٦٩ الإمام الدهلوي: حجة الله البالغة، كتب خانة رشيدية، دلهي، ١٣٧٣هـ ص: ١٢ / ١ - ١٣.

٧٠ المصدر السابق: ١ / ٤١.

والروابط الإنسانية العامة فإنه يتحدث عن جانب منها ويظهر مواطن الحكمة من أحكامها فيقول في باب فن المعاملات عارضا لبعض الظواهر الاقتصادية والمالية:

«الحكمة الباحثة عن كيفية إقامة المبادلات والمعاونات والإكساب...»^{٧١}. ومختصر ما ذكر في هذا الباب هو لما ازدحمت الحاجات وطلب الإتيان فيها ولما كان كثير من الناس يرغب في شيء وعن شيء فلا يجد من يعاملها في تلك الحالة اضطروا الى تقدمه وتهيته فصارت المعاملة بها أمرا مسلما عندهم.

فيلاحظ من الموازنة بين النصين التقارب والتأثر لدى الدهلوي بالأقدمين من العلماء في كثير من الحكم الشرعية والتي وصفها بأنها معتبرة عند الشارع ورأى حسبما اقتضاه عصره أن يفيض القول فيها ويفصل في تأصيلها أكثر من سواه وبخاصة أن كتابه مصنف فيها وتلاحظ في موضوع سياسة المدنية والحديث عن التجارة والزراعة وأهل الصناعة نظرات من الحكمة عنده في إنعاش الحياة الاقتصادية والحضارة اوغيرهما.

ولم يقف الدهلوي عند بيان الحكمة او المصلحة المرعية من الأحكام التعبدية موقفا يلتزم فيه جانب النقد فحسب، بل أنه رأى كما قدمنا أن حكمتها تبدو لكثير ممن أوتوا المعرفة وحسن البصيرة. ولذلك وجدناه يحلل ويفكر في إظهار الحكمة وإيضاحها. ومن ذلك ما ذكره في باب أسرار الحج. فقال: واعلم أن حقيقة الحج اجتماع جماعا عظيما من الصالحين في زمان يذكر حال المنعم عليهم من الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين، ومكان فيه آيات بينات قد قصده جماعات من

٧١ المصدر السابق: ١ / ٤٣.

أمة الدين معظمين لشعائر الله متضرعين راغبين وراجين من الله الخير وتكفير الخطايا. فإن الهمم إذا اجتمعت بهذه الكيفية لا يتخلف عنها نزول الرحمة والمغفرة وهو قوله صلى الله عليه وسلم: «ما رؤى الشيطان يوماً هو فيه اصغر ولا أذحر ولا أحقر ولا أغيظ منه في يوم عرفة»

فمن هذا المعنى لفريضة الحج ينطلق في استنتاج الحكمة التي يرى فيها الباعث على تشريعها. فهو يفسر هذه الظواهر من المناسك والشعائر التعبدية في مهبط الوحي وسيلة للتذكر وتربية للأنفس وتعطفاً لهم لإدراك عظمة مشرع هذه الفريضة بصفاء السرائر واجتماع الناطقين بوحدة الإنتساب إليه تعلق الهمم وتتحقق مصالح الأمة التي بها يثابون من خالقهم بالرحمة والرضوان بعد أن استشعروا كل معالم نهضتهم واستجمعوا طاقاتهم لكل خير وصلاح.

وقد أورد عبد الرزاق قاسم سبع ملامح التي وجدها في منهج الدهلوي. هذا ما يأتي:

١. تلاحظ الجدة والوضوح في بيان الحكمة او المصلحة المرعية عنده في الأحكام بشكل مستفيض ومنطقي.
٢. لم يستثن أحكام العبادات في منهجه عند بيان الحكمة بل التمس فيها أيضاً معاني عقلية تسير واقع الحياة بتفصيل يناجي الأرواح ويهدف إلى الإقناع.
٣. صنف الحكمة إلى أنواع من حيث صدورها او من جانب وضوحها او خفائها.
٤. عني بمناقشة الآراء لاستخلاص الحكمة وإثبات المصلحة الموافقة لمطالب الحياة السعيدة.
٥. أفاض القول في بحث الصور الروحية التي يعايشها الإنسان ابتغاء تحقيق الإقناع النفسي والإطمئنان الى معاني الإيمان بالبعث بعد الموت.

٦. اتخذ من وسيلة البحث الروحي عاملا دافعا يحث النفس الإنسانية على السلوك الحسن والإخلاص في العمل وعلق الجزاء او الثواب على الأعمال بأن وصفهما بأنهما يكونان حسب نظام لا يتحول عن أسبابهما.

٧. رد بعض الفقهاء الذين رجحوا القياس على الحديث الصحيح.^{٧٢}

أسلوبه في الحجة

أسلوب هذا الكتاب مغاير جدا. قد نبه الدهلوي هذا الأمر في المقدمة نفسها. وبين أن تأليفه مؤسس على الكتاب والسنة بالوضوح على خصوصية علوم الحديث. ويمكننا أن نتوجه إليه:-

وفي القسم الأول يرى الدهلوي أن أسرار الشرع ترجع إلى أصلين يعني مبحث البر والإثم ومبحث السياسات المللية. البر والإثم لا تكتنه حقيقتهما إلا بعد أن عرف قبلهما مباحث المجازاة وطرق الإنتفاعات والسعادة النوعية. وأما القسم الآخر من الكتاب فقد اختص بشرح أسرار الأحاديث من أبواب الإيمان وأبواب العلم وأبواب العبادات وأبواب الاحسان وأبواب المعاملات أبواب تدبير المنازل وأبواب سياسة المدن وأبواب آداب المعيشة وغيرهذه من الأبواب كما تقدم ذكره.

يبحث الإمام في القسم الأول من الكتاب أسباب التكليف والمجازاة وكيفية المجازاة في الحياة وبعد الممات وكيفية استنباط طرق الإنتفاع ثم حقيقة السعادة والسياحات المللية واستنباط الشرائع من حديث النبي صلى الله عليه وسلم وبين أسرار ما جاء عنه صلوات الله عليه تفصيلا.

٧٢ عبد الرزاق قاسم: منهج الدهلوي بين المصالح والحكمة الشرعية(مقال)، آداب الرافدين، ٢٤ شعبان ١٣٩٧، ص: ٤٩٩، ٥٠٠.

أما القسم الثاني فيبحث فيه حكمة التشريع في العبادات كلها والمقامات والأحوال جميعها وفقه المعاملات والخلافة والقضاء والجهاد والفتن وأشراط الساعة. وبين في الباب الأول من القسم الأول عن وحدة الوجود ووحدة الشهود بلا توضيح إلى اسمهما.

وحدة الوجود ووحدة الشهود

جاء في فلسفة الإمام مبحث وحدة الوجود ووحدة الشهود. وهو مما يعسر فهمه على أكثر عقول أجلة العلماء من المتكلمين والفلاسفة. وهما لفظتان تطلقان في موضعين. فتارة تستعملان في مباحث السير إلى الله عزوجل. ومعنى وحدة الوجود ههنا الإستغراق في معرفة الحقيقة الجامعة التي تعين العالم فيها بحيث يسقط عنه أحكام التفرقة والتمايز التي معرفة الخير والشر مبنية عليها. وهذا مقام يحل فيه بعض السالكين حتى يخلصه الله تعالى منه.

ومعنى وحدة الشهود هو الجمع بين أحكام الجمع والتفرقة. فيعلم أن الأشياء واحدة بوجه من الوجوه وكثيرة مبائنة بوجه آخر. وهذا المقام أتم وأطول رفع من الأول. وليس معتقد ولي الله بوحدة الوجود على نهج ما اعتقده الشيخ الأكبر ولا بوحدة الوجود والشهود كما اختاره الإمام الرباني بل مسلك الشيخ بين الطريقتين.^{٧٣}

كان رحمه الله نشأ على مذهب الحنفية في الفروع والمعتقد وعلى مذاق العارف بالله الشيخ أحمد بن عبد الأحد السرهندي المعروف والإمام الرباني في القول بالتوحيد الشهودي. إنه يعتقد في الامام الرباني.

٧٣ الشاه ولي الله الدهلوي: لمعات.

والشيخ الرباني ما انكر وحدة الوجود التي أقرّ بها الشيخ الأكبر كإنكار علماء الظاهر بل أثبت وحدة الشهود مقاما أعلى من وحدة الوجود بعد إقراره مقام وحدة الوجود. كما نص عليه العارف بالله الهادي إلى الله مرزا مظهر الشهيد المتوفى سنة ١١٩٥ هـ / ١٧٨٣ م.

ما جاء عن الحاجة الى الخليفة وإثبات خلافة الأنبياء (ع)

ويثبت الدهلوي في أبواب الحجّة بأنه ينبغي أن يكون الخلفاء في كل زمان. هؤلاء الخلفاء هم خلفاء الأنبياء والمرسلين. هم يعملون أعمال الأنبياء. والفرق بينهم ليس لهؤلاء الخلفاء معجزات ولكن لهم كرامات من الله. هم يبلغون أوامر الله إلى تابعيهم خاصة وإلى الناس عامة. هم يأمرّون بالمعروف وينهون عن المنكر. فحصول الخلافة لهم ليس بمجرد الأمور. بل يحصلون هذه الخلافة بالعبادات دهرًا على دهر. فيصفون أنفسهم من كل الأقدار. فيستطيعون أن يروا الأمور من المملأ الأعلى وعالم المثال. فيعلمون أسرار الشريعة وبهذه الأشياء يزكون أنفسهم وأنفس غيرهم من عامة الناس وخاصتهم.

يقول أبو الحسن علي الندوي: زد على ذلك (على أبواب تدبير المنزل والخلافة والقضاء وأبواب المعيشة وآداب الصحبة التي تتعلق بالأخلاق والاجتماع والمدينة والاقتصاد) أن الإمام الدهلوي قدم فيه نظاما مرتبا منقحا للإحسان والتزكية يستطيع الإنسان بسلوكه على دربه والعمل به أن يبلغ أعلى مدارج الرقى والكمال ومراتب الولاية وغاية الأحوال والمقامات. وقد امتد هذا الباب من الكتاب على الصفحات من ٦٦ إلى ١٠١. وقد بحث فيه الإمام الدهلوي عن تلك الطرق والوسائل

للإحسان التي وردت في الأحاديث الصحيحة واكتفى بمجرد التأكيد على روح الإحتساب والإستحضر والنية والعزيمة والكيفيات الباطنية القلبية والإهتمام بها، واقترح علاج الأمراض والعلل الروحية بتلك الطرق المشروعية والفرائض والعبادات والأدعية والأذكار التي صح نقلها كما بين طرق العلاج للأخلاق المذمومة الرذيلة وطرق اكتساب الأخلاق المحمودة الفاضلة بالنصوص الثابتة في الكتاب والسنة.^{٧٤}

وقد أورد في هذا المبحث صيغ الأذكار والأدعية المأثورة وشرح طريق الدعاء المقبول وكيفيته وشروطه وآدابه. وقد أورد في آخر هذا الباب أحاديث منتقاة تتعلق بالتحلي بالأخلاق الفاضلة وأداء حقوق العباد وحسن الصحة والجوار التي يستطيع الإنسان بالعمل بها أن يصل إلى أقصى درجات التزكية والإحسان. ثم تناول بيان تلك الأحوال والمقامات التي تحصل للسالك نتيجة التزكية والإحسان. كما أنها تكون نتيجة النور في الباطن وصحة القلب وصلحه وزكاء النفس وطهارتها ومرضات الله وتأييد الملاً الأعلى واستبشارهم.^{٧٥}

الجهاد

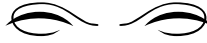
ويشتمل هذا الكتاب على باب مستقل حول الجهاد. وهذا الموضوع قد يبحث عنه كثير من الناس خاصة في العصر المعاصر بعد حادثة ١١ / سبتمبر. قد بدأ الدهلوي هذا الباب بهذه الكلمات المثيرة المنبهة التي لا يقولها إلا عارف خبير. إنه يقول:

٧٤ أبو الحسن علي الندوي: الإمام الدهلوي (رجال الفكر والدعوة في الإسلام / الجزء الرابع)، دارالقلم للنشر والتوزيع، الكويت، ١٩٩٦م، ص: ١٨٩، ١٩٠.

٧٥ المصدر السابق: ١٩١.

”اعلم أن أتم الشرائع وأكمل النواميس هو الشرع الذي يؤمر فيه
بالجهاد“^{٧٦}

ثم شرح ذلك وبينه وأثبته بالعقل والنقل. ثم ذكر أسباب فضل
الجهاد وأصوله وضوابطه. وأورد فيه كثيرا من الأحاديث النبوية وبين
سبب الفضائل. وإذا وجب الجهاد فالفرار عنه حرام على رأيه.



٧٦ الإمام الدهلوي: حجة الله البالغة، كتب خانة رشيدية، دلهي، ١٣٧٣هـ، ص: ج ١ / ١٧٠

الباب الرابع
الأخلاق في أعمال الإمام الدهلوي

الفصل الأول : بعض وجوه الأخلاق في الحجة

الفصل الثاني : أبواب مبحث السعادة

الباب الرابع

الأخلاق في أعمال الشاه ولي الله الدهلوي

أردت بيان الأخلاق في أعماله بما أن عليها مدار صلاح الناس في حياتهم. فتبين أن اعتناء المؤمن بتقويم أخلاقه هو مهمته التي ينبغي أن يفكر فيها ويدأب عليها. ولذلك جاءت معظم دروس أعمال الإمام الدهلوي تعالج موضوع هذه الأخلاق والتذكير بها وكيفية اكتسابها.

أن الخلق العظيم مقترن بالعقل العظيم. وإن كان الرجل مجنوناً لما أمكن صدور الأخلاق العظيمة منه. فإن الخلق العظيم منهج سويّ في الحياة لاستقبال أحداث الحياة والتعامل معها. ولا يكون إلا من صاحب العقل الواسع. لأجل ذلك جاء في تعريف العقل أنه ملكة في النفس تمنع صاحبها عن ارتكاب القبيح. ولأجله وجب على كل فرد من المسلمين أن يعتني بهذه الأخلاق في نفسه وفي أسرته وفيمن هو مسئول عنه. فالإمام الدهلوي كان يؤمن بأنه سيسأل العلماء عن أحوال قومه. يعني أنهم مسؤولون عنها، لأنهم ورثة الأنبياء وخليفتهم. فالأنبياء كلهم على طريقتهم الخاصة يعملون ويجهدون لتبليغ أمانتهم يعني الدين والشريعة.

فهدف الإسلام كدين من الأديان السماوية أن يبني الإنسان من جميع نواحيه. فشرع لأجل ذلك أحكاما كثيرة ووضع قوانين متعددة، وتوعّد من خالفها بالعقوبة ووعد من وافقها بالأجر والثواب. كل ذلك من أجل أن يحمله على التحلي بالقيم السامية والأخلاق الفاضلة. فالعمل بالأحكام الشرعية يشكل الحد الأدنى من هذه الأخلاق. هذا الحد الذي لا يمكن التهاون به والتسامح في تركه. وبلوغ هذا الحد يؤسس لقيام عملية البناء الإنساني والتكامل البشري من خلال التحلي بالأخلاق الكريمة التي تركت دون رتبة الإلزام الشرعي لكي يطلبها الإنسان من تلقاء نفسه رغبة في الوصول إلى مقام العبودية الحقيقية لله تعالى وخلافته في الأرض ونيل الأجر الجزيل والثواب العظيم على تطوّعه هذا. وفي هذا الميدان يتفاضل البشر شرفا وخسة وسموا وضعة. فمن بلغ أعلى مراتبها بلغ درجة الكمال كالنبي وآله ثم الأدنى فالأدنى.

يرى في أعمال الدهلوي نوعان للأخلاق. وهما الفلسفية والإسلامية. إنه يصور في أعماله خاصة في كتابه «حجة الله البالغة» أنواع الأخلاق. ويبيّن الدهلوي في الجزء الأول من هذا الكتاب سبعة مباحث والأربعة منها تبحث عن الأخلاق يعني مبحث الإرتفاقات ومبحث السعادة ومبحث البر والإثم ومبحث السياسات الملية. وفي نظره الأخلاق ترى في الإنسان فقط وكذلك نفع الأخلاق يحصل المجتمع كله. يقول الدهلوي: «الإنسان من بينها مدني الطبع لا يتعيش إلا بتعاون من بني نوعه فإنه لا يتعدى الحشيش النبات بنفسه ولا بالفواكه نيئة ولا يتدفأ بالوبر إلى غير ذلك مما شرحنا من قبل، ومن حقه أن يلهم تدبير المدن مع تدبير المنازل وآداب المعاش غير أن سائر الأنواع تلهم عند الإحتياج الهاما جبليا والإنسان لم يلهم إلهاما جبليا إلا في حصة قليلة من علوم التعيش كمص

الثدي عند الإرتضاع والسعال عند البحة وفتح الجفون عند إرادة الرؤية ونحو ذلك.» يفهم من هذا القول أن المجتمع ينتفع من أخلاق أفراد المجتمع.

وقال الإمام الدهلوي في كتابه «البدور البازغة»

فهذا تحقيق الملكات الرواسخ. وكل ملكة راسخة تسمى بالخلق، والأخلاق كلها تكون جيدة إذا كانت النفس الناطقة صلبة صافية متصلة في نفسها فإنها إذا كانت كذلك استتبع في البدن مزاجا شبيها بها ونسمة شبيهة بها وقلبا وكبدا ودمانا شبيها بها، وأخلاقا صلبة صافية شبيهة بها، فلأمر متماثل متشابه بعضه ببعض، وإذا أعملت الفكر في الفحص عن حقائق الأخلاق الفاضلة وجدتها سبعة: الحكمة والعفة والسماحة والشجاعة والفصاحة والديانة والسمت الصالح.^{٧٧}

وانقسم الدهلوي الأخلاق الفاضلة إلى سبعة أقسام ويقول بعد تفصيل كل واحدٍ من هذه السبعة.

«فأثر هذا الخلق في الصورتين: إحداهما تشابه الأخلاق والأفاعيل والملابسات من الثوب والزي بعضها ببعض، فمن ناسبت أفاعيله وملابساته بالسودد لا يزال كل جنس من تلك الأفعال فيه بلا تفاوت ومن ناسب أفاعليه بالصغار يكون كل فعل منه مناسبا للصغار.

وثانيهما تشابه جزئيات فعل واحد، فكل فرد يناسب الفرد الآخر مطردا، ولو امعنت في الإستقراء وقعت على رجل قد يظهر في صورة السودد وبجبروت عظيم وزي صالح ووقار سماحة وشجاعة. ثم يظهر في وقت آخر في صورة أريش الشح وضيق نفس وجبن وصغار وهوان وزي غير صالح لمثله، قد يرضى ثم عما قريب يسخط ويتخذ سمتا، ثم

٧٧ الإمام الدهلوي: البدور البازغة، ص: ٤٧

عما قريب يدعه ويتخذ سمتا مبائنا له. وذلك لعدم صحة تشابه قوام القلب وأحكامه. فبعض الأحكام أمتن من بعض، فلو تشابه القوام لم يصدر منه أفعال متبائنة وعلى رجل شجاع في المرتبة القصوى من الشجاعة وهو بخيل غاية البخل او وقح غاية الوقاحة او أعجم اللسان. ومن هذا الخلق ينشعب الحلم والحياء والصبر على المكاره والدوام على الأعمال والأخلاق الحسنة، ويذهب منه عروق في أعمال الظرافة فينتخب من اللباس لباسا مناسباً لمثله، ومن الجلوس والمشي هيئة مناسبة لمثله.»^{٧٨}

يختتم كلامه بإيراد قول عن فاقد الأخلاق الفاضلة. يعني أن الفاقد لتلك الأخلاق الفاضلة لا يخلو من أن يكون تامّ المزاج وإنما صده عن تكونها قلة الوقوع في مظانها او يكون ناقص المزاج بإزاء نقصان المادة التي قبلت الصورة الشخصية.

والأول ينفعه ملازمة أصحاب الأخلاق الكاملة على صفة الإستحسان والإصغاء إلى حكايتهم، والجزم بأنها سعادة المرء في العاجل والآجل والثاني لا ينفعه شيء، نعم إذا توجه إلى الله وسار إليه غشيته الرحمة وتبدلت الطبيعة الإنسانية فيكون حينئذ جابرا لنقصانها بما هو أحسن الأخلاق المعاشية.

وكذلك أنه كتب بالفارسية كتابا 'المقالة الوضيئة في النصيحة' عرف هذه الرسالة باسم 'وصيت نامه' وهي تشتمل كما يدل اسمها على جملة صالحة من النصائح والتوجيهات لتلاميذه ولكل من يمت إليه بصلة. وكذا يمكن اعتبار كتابه المشهور 'البدور البازغة' امتدادا لحجة الله البالغة موضوعات ومنهجها. وهو عمل موسوعي يتناول شتى موضوعات الدين

والتصوف وفلسفتها وأيضاً 'التفهيمات الإلهية' بالعربية والفارسية. وهي تجمع الخطب القصار على موضوعات مختلفة متصلة بالدين والتصوف. كل منها بعنوان 'التفهم'. وهذه كلها كتب التي تصور ركائز اساسية من فكره ومبادئ جذرية من فلسفته. وبقي هناك عدد من الكتب المهمة وبعض الرسائل. ويحاول العلماء المتأخرون ورجال الفكر وكبار أهل العلم والمعرفة تقييم علومه ومعارفه وتنقيحها بقدر ما تيسر لهم من السعي والجهد.

الفصل الأول

بعض وجوه الأخلاق في الحجة

إن من مزايا هذا الكتاب وخصائصه أنه يشتمل على ابواب المعيشة وآداب الصحبة التي تتعلق بالأخلاق والاجتماع والمدينة والاقتصاد. ولا يتوقع مثل هذا البحث فيها في عامة الكتب الفقهية والكلامية. هنا نريد أن نورد بعض وجوه الأخلاق التي وردت في الحجة. وإلى هذا:-

- I. فطرة الانسان الطبيعية على ثلاثة أقسام. وهي
 ١. عفة: وهي أن لا يخضع لهواء النفوس والشهوة وهي نوعان - فطري وكسبي، ويعتبر الله أصحابها أهل الخير والخوف.
 ٢. تفرس: وهو الذي يستطيع أصحابه أن يفهم معنى القرآن وأسرار الشريعة وكنه الله.
 ٣. سكينه: هي من الله هبة. فأصحابها يستطيعون أن يقوموا بالاستقامة على عبادة الله.
- II. الإنسان على الصفات النفسانية على قسمين. وهما:-
 ١. الذين لهم البهيمه الشديدة الصفيقه، يعني يبلغ فيه الصفات الحيوانية.

٢. الذين لهم البهيمة الضعيفة المهلهلة مثل الطبي. فيبلغ فيه الصفات الحيوانية الضعيفة.

III. الإنسان فيه الصفات الملكية. هذا أيضا على قسمين.

١. الذين في الملأ الأعلى: هم يصبغون بأسماء الله تعالى وصفاته. وهم يرون الأمور من الأقوال الإلهية.

٢. الذين في الملأ السافل: هم الذين يمكن أن يزل أقدامهم من الدين الحنيف. يجب أن يكونوا بين الخوف والرجاء.

IV. وعلى هذين الأخيرين قسم الدهلوي الناس إلى أربعة أقسام.

١. الذين يبلغ فيهم الصفات الملكية والحيوانية.

٢. الذين يبلغ فيهم الصفات الحيوانية ويقل فيهم الصفات الملكية.

٣. الذين يبلغ فيهم الصفات الملكية ويقل فيهم الصفات الحيوانية.

٤. الذين يقل فيهم هاتان الصفتان.

V. الثالثة منهم الصوفية البارزون الممتازون. قسمهم الدهلوي أيضا إلى أربعة أقسام.

١. المفهمون: هم أعلى طبقات النفس. وملكيتهم في غاية العلو. ويمكن لهم أن ينبعثوا إلى إقامة نظام مطلوب بداعية حقانية ويترشح عليهم من الملأ الأعلى علوم وأحوال الهية.

٢. السابقون: وهم جنسان، جنس أصحاب اصطلاح وعلو كان استعدادهم كاستعداد المفهمين في تلقي تلك الكمالات. وجنس أصحاب تجاذب وعلو ساقهم سائق التوفيق إلى رياضات وتوجيهات قهرت بهيميتهم فآتاهم الحق كمالا عمليا وصاروا على بصيرة. ويجمع هذين السابقين أمران. أحدهما أنهم يستفرغون طاقتهم

في التوجه إلى الله والتقرب منه. وثانيهما أن جبلتهم قوية فتمثل الملكات المطلوبة عندهم على وجهها من غير نظر إلى أشباح لها. ومنهم -

(١) المفردون (٢) الصديقون (٣) الشهداء (٤) الراسخون في العلم (٥) عباد الرحمان (٦) الزهاد (٧) المستعدون لخلافة الأنبياء (٨) أصحاب الخلق الحسن (٩) المشتبهون بالملائكة والمخالطون بهم.

١. أصحاب اليمين:- وهم أجناس. جنس نفوسهم قريبة المأخذ من السابقين وجنس أصحاب التجاذب وجنس أهل الإصطلاح ضعيفة الملكية جدا.
٢. أصحاب الأعراف:- هم جنسان (١) قوم صحت امزجتهم وزكت فطرتهم ولم تبلغهم الدعوة الإسلامية أصلا او بلغتهم ولكن بنحو لا تقوم به الحجة ولا تزول به الشبهة. (٢) قوم نقصت عقولهم كأكثر الصبيان والمعتوهين والفلاحين والأرقاء.^{٧٩}

الحلم من الأخلاق

وفي كتاب «رسالة في الحلم» أفرد مصنفه «شارل بلا» بابا باسم «تشریح الحلم ومنزلته من الأخلاق الأساسية». وبين فيه معاني الحلم المختلفة وفضائله. وقال إن الحلم هو أساس كل مكارم الأخلاق. وأنه روى قول عبد العزيز محمد الأهدب الذي قاله في كتابه «حكم وأدب من مآثر العرب»: «الحلم هو سكون النفس عند دواعي الغضب مع ترك الإنتقام،

٧٩ الإمام الدهلوي: حجة الله البالغة، كتب خانة رشيدية، دلهي، ١٣٧٣هـ ص: ج ١ / ١١٧ - ١١٥.

وهو من أشرف الأخلاق وأكرمها وأعلى مراتب الكمال وأعظمها يبلغ صاحبه ذروة الشرف والمجد ويكسب صاحبه جميل الشكر والحمد، به يصون الإنسان عرضه ولا ينال منه السفية غرضه، يعصم النفس من مواقع الندم ولذا قيل «ما قرن شيء إلى شيء أزين من حلم إلى علم ومن عفو إلى قدرة».^{٨٠}

ولكن الأوصاف التي تقدمت هي ما لا بد من وجودها لتتم مكارم الأخلاق. وكل من الأوصاف واجب أن يكون ليوجد وصف آخر. هنا واجب أن يتذكر قول الجاحظ الذي هو أول من حاول أن يحلل الحلم تحليلا جامعا مانعا وأن يقول تعريفا جامعا ومانعا. فقال: «وإنما الحمد للحلم واللوم على الجهل: فالحلم هو الإسم الجامع لكل فضل وسلطان العقل القامع للهوى، فليس قمع الغضب وتسكين قوة الشر وإسقاط طائر الخرف بأحق بهذا الإسم ولا أولى بهذا الإسم من قمع فرط الرضى وغلبة الشهوات والمنع من سوء الفرح والبطر ومن سوء الجزع والهلم وسرعة الحمد والذم وسوء الطبع والجشع وسوء منازهة الفرصة وفرط الحرص على الطلبة وشدة الحنين والرقّة وكثرة الشكوى والأسف وقرب وقت الرضى من وقت السخط ووقت السخط من وقت الرضى ومن اتفاق حركات اللسان والبدن على غير وزن معلوم ولا تقدير موصوف وفي غير نفع ولا جدوي.» وعلاوة على الحلم للأخلاق أمور كثيرة من الحقائق. هلا ننظر إلى بعض منها كما بيّن الدهلوي.

٨٠ حكم وأدب من مآثر العرب: بيروت ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م.

حقائق الأخلاق الفاضلة كما بينها الدهلوي

حقائق الأخلاق الفاضلة سبعة. هلا نبحت عنها من بيانات الدهلوي.^{٨١}

١. الحكمة: وهي ذكاوة القلب في الجرم بالعلوم التي التقطها من قبل البداهة او النظر او من قبل النور الإلهي المنصوب في الناسوت المسمى بالشرع وفي حيازتها واختزانها واعمالها. وليست الحكمة التي نقصد بيانها عندنا ما اختص به اصحاب الفلسفة من دقيق الأنظار ولا ما اختص به الصوفية ومن ضاهاهم من الوجدان العميق من قبل التجلى المعتمد على نفوسهم او من قبل أعيانهم بل ما يهتدي به أصحاب الأمزجة السليمة إلى معاشهم وإلى علومهم التي من قبل نسمتهم. وإنما الحكمة حال من الأحوال، وهي تتلو القلب وليست انطباع الصورة العلمية فقط ولا جزيرة أي إنشاء احتمالات بعيدة وتدقيقات لا طائل تحتها.

٢. العفة: وهي تجبر القلب على اللذات والشهوات التي تنبعث بسريان المنى في المدن وإضمار دخلاء الدماغ مودته فينفذ فيها حكمه على سبيل الإستبداد. والعفيف من الرجال رجل عظيم الباه قوي المحبة للنساء والعفيفة من النساء امرأة حنونة على ولدها عظيم المحبة لزوجها خصوصاً.

٣. السماحة: وهي تيه القلب وكبره على كل ضيق وطيش وتجبره على كل مطلب دني. فيسترق الضعفاء ويتملك رقابهم. أليس أن ذا المال القليل والجاه المموه يسترق الضعفاء.

٤. الشجاعة: وهي توثق القلب واشتداده عند مقاومة المصائب الداهمة والنوائب الدامغة أن أمر بمقاومتها الرأي الكلي والمصلحة

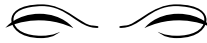
٨١ الشاه ولي الله الدهلوي: البدور البازغة، ص: ٤٧ بتلخيص.

البالغة بحيث لا يعجز عن مكابدة شدة ولا يقعد عن مطاولة مدة. ذلك أن الرجل قد يعلم بمكان نفع أو بانتفاء ضرر كابد ووصل بعد المكابدة إلى مطلوبه كالرياسة أو المال الحزيل أو كالأجر الجليل أجلا أو كإنشاء دين من الله تعالى أو تمهيد الملك على وجه تفضييه الحكمة أو تخليص نفسه من قتل أو سلب أو عار أو غير ذلك.

5. العزم: وهو خلق وزانه مع القوى العملية وزان الإذعان مع القوى العلمية فالرجل قد يقع عليه صورة فعل ثم صورة فعل آخر، فيشتبه على القلب القضاء ولو كانت الصورة الأولى وقعت على عزم لم يتردد، ولم يضطرب القلب في القضاء.

6. الفصاحة: وهي تحبز القلب على القوى الإدراكية حين ما يوعى إلى اللسان، وعلى اللسان عندما تتلقى من القوى الإدراكية فينتظم بصحتها وانقيادها الكلام ويكون بليغا.

7. السميت الصالح: وهي صحة قوام القلب في الحكم على العائلات والعائلات من القوى فلا يزعجه ما أحسن من وهم أو خيال أو تأثير خلط ومنى عما جرى عادته عليه، ولا يضطرب بعض أفاعليه عن بعض فيناسب بعضها السوداء والكبر والجبروت وبعضها الصغار والهوان والذلة.



الفصل الثاني

أبواب مبحث السعادة

أورد الدهلوي مبحثا واحدا لبيان «الأخلاق» كما تقدم ذكره. وفيه سبعة أبواب وهي:-

١. باب حقيقة السعادة
٢. باب اختلاف الناس في السعادة
٣. باب توزع الناس في كيفية تحصيل هذه السعادة
٤. باب الأصول التي يرجع إليها تحصيل الطريقة الثانية
٥. باب طريق إكتساب هذه الخصال وتكميل ناقصها ورد فائتها
٦. باب الحجب المانعة عن ظهور الفطرة
٧. باب طريق رفع هذه الحجب

هلا ننظر إلي بيانها نظرة مختلصة. يبدأ الدهلوي هذا البحث بإتيان توضيح كمالية الإنسان. فقال: "اعلم أن للإنسان كمالا تقتضيه الصورة النوعية وكمالا يقتضيه موضوع النوع من الجنس القريب والبعيد وسعادته التي يضره فقدها ويقصدها أهل العقول المستقيمة قصدا مؤكدا هو الأول".^{٨٢} وبعد هذا يبين سببه بأن بعض الناس يمدح طول

٨٢ الشاه ولي الله الدهلوي: الحجة، ص: ١ / ٥٠

الأجسام وعظم القامة. فيشير الدهلوي إلى طول الجبال فيسأل هل للجبال أي كمال؟ لا. فيقول إنه ليست السعادة معتمدة على الطول او على الصفات مثل الطول. ولكن يقول: «وصفات يختص بها الإنسان كالأخلاق المهذبة والإرتفاقات الصالحة والصنائع الرفيعة والجاه العظيم. فبادئ الرأي أنها سعادة الإنسان. ولذلك ترى كل أمة من أمم الناس يستحب أمها عقلا وأسدها رأيا أن يكتسب هذه ويجعل ما سواها كأنها ليست صفات مدح».^{٨٣}

ويقول بعد ذلك أن الأمور التي تشترك بالسعادة الحقيقية على قسمين. الأول من باب ظهور فيض النفس النطقية في المعاش بحكم الجبلية ويُظهر الدهلوي أن الأخلاق لا تظهر إلا عند مزاحمات من بني النوع. والثاني هيئة إذعان البهيمية للملكية. وهذا القسم يسمى بالعبادات والرياضات - العبادات باعتبار اقتضاء الملكية، والرياضات باعتبار اقتضاء البهيمية. ومطلوب الإنسان أن يحصل السعادة الحقيقية. وأن السعادة لا تقتنص إلا بالعبادات. فالعبادات هي المطلوبة الأولية والآخريّة من خلق الله تعالى الناس لما قال: «وما خلقت الجنّ والإنس إلا ليعبدون»^{٨٤}. ولذلك تنادي المصلحة الكلية أفراد الإنسان من كوة الصورة النوعية وتأمرها أمرا شديدا أن تكون إصلاح الصفات التي هي كمال ثان - يعني الإرتفاقات الصالحة والصنائع العجيبة ونحوها- بقدر الضرورة وأن تجعل غاية همتها ومطمح بصرها تهذيب النفس وتحليتها بهيئات تجعلها شبيهة بما فوقها من المملأ الأعلى مستعدة لنزول أكوان الجبروت والملكوت عليها.

وفي الباب الثاني من هذا البحث يُظهر الدهلوي شدة الحاجة إلى الأنبياء ووجوب إتباع سنتهم والإشتغال بأحاديثهم. ولذلك أورد أولا

٨٣ المصدر السابق: ١ / ٥٠

٨٤ الشاه ولي الله الدهلوي: الحجة، ص: ٥١ / ٥٦

أصناف الناس في مجال الشجاعة وسائر الأخلاق الذي لا يرجى له حصولها أبداً وصنف فاقدها الذي يرجى له ذلك وما إلى ذلك. وأخيراً يقول عن الأنبياء الذين يكمل فيهم هذه الصفات كمالاتاً حسناً. بل يجهدون أن يكونوها في سائر الناس المتبعين لهم.

وفي الباب الثالث منه يبين توزع الناس في كيفية تحصيل هذه السعادة. فقال إنه تحصل هذه السعادة بوجهين. الأول ما هو كالإنسلاخ عن الطبيعة البهيمية. وثانيهما ما هو كالإصلاح للبهيمية والإقامة لعوجها مع تعلّق أصلها. والأولى إنما تتأتى من قوم ذوي تجاذب. وهذا هو الذي يرومه المتأهلون الأشرافيون من الحكماء والمجدوبون من الصوفية فوصل بعضهم غاية مداها وقليل ما هم. وبقي آخرون مشتاقين لها طامحة أبصارهم إليها متكلفين لمحاكاة هيئاتها.

والثانية إنما أمتها المفهمون وذوو إصلاح. وهم قائمون برياسة الدين والدنيا معا ودعوتهم هي المقبولة وسنتهم هي المتبعة. ويتمكن منها الذكي والغبي والمشتغل والفارغ. وللتوضيح عن هذا الصنف أورد باباً خالصاً وهو الباب الرابع - باب الأصول التي يرجع إليها تحصيل الطريقة الثانية. فيقول: «اعلم أن طرق تحصيل السعادة على الوجه الثاني كثيرة جداً غير أنني فهمني الله تعالى بفضله أن مرجعها إلى خصال أربع تتلبس البهيمية متى غطتها النفس النطقية وقسرتها على ما يناسبها وهي أشبه حالات الإنسان بصفة الملائمة الأعلى معدة للحوقه بهم وانخراطه في سلوكهم وفهمني أنه إنما بعث الأنبياء للدعوة إليها والحث عليها وأن الشرائع تفصيل لها وراجعة إليها».^{٨٥}

وهذه الخصال الأربع كما تقدم ذكره هي (١) الطهارة (٢) الإخبات لله تعالى (٣) السماحة (٤) العدالة. وبيانها:-

١. الطهارة: حقيقتها أن الإنسان عند سلامة فطرته إذا تلطخ بالنجاسات أو احتاج إلى الخلاء إنقبضت نفسه ثم إذا تخفف عن الأخبثين وتذلك بدنه واغتسل إن دفع عنه ذلك الإنقباض. أن الطهارة قسمان. (١) الطهارة الظاهرية (٢) الطهارة الباطنية. فالطهارة الظاهرية إنما تحصل بالغسل والوضوء ولكن الطهارة الباطنية لا تحصل بها. وبالجملة الطهارة أشبه الصفات النسمية بحالات الملأ الأعلى في تجردها عن الألوات البهيمية وابتهاجها بما عندها من النور. ولذلك كانت معدة لتلبس النفس بكمالها بحسب القوة العلمية. والذي من الناس والذي يرى منه سلامة أحكام النوع وتمكين المادة لأحكام الصورة النوعية يعرف الحالتين يعني الطهارة وغير الطهارة ويحب الأول ويبغض الثاني لطبيعته.

٢. الإخبات لله تعالى: حقيقته الحالة التي تعترى للإنسان إذا ذكر وأمعن بآيات الله وصفاته تنهت النفس النطقية وخضعت الحواس والجسد ووجد ميلا إلى جانب القدس. قال تعالى: «ألا بذكر الله تطمئن القلوب»^{٨٦}. وهذه الحالة أقرب الحالات النسمية وأشبهها بحال الملأ الأعلى في توجهها إلى بارئها.

٣. السماحة: حقيقتها كون النفس بحيث لا تنقاد لدواعي القوة البهيمية ولا يتشبح بها نقوشها ولا يلحق بها وسخ لوثها. بل هذا الرجل لا يعطي الدنيا قيمة. وفكره يكون دائما عن الآخرة. ولذلك إذا سرقت ماله النفيس لم يجد له بالأ لأنه سخي. وإن كان

ركيك النفس صار كالمجنون وتمثلت صورة المال عنده دائماً. وأورد الدهلوي ألقاباً كثيرة للسماحة وضدها بحسب ما يكونان فيه. أما في المال يسمى سخاوة وشحا وأما في داعية شهوة الفرج أو البطن يسمى عفة وشرة وأما في داعية الرفاهية والنبو عن المشاق يسمى صبرا وهلعا وأما في داعية المعاصي في الشرع يسمى تقوى وفجورا. وبالجملة السماحة هيئة تمنع الإنسان من أن يتمكن منه ضد الكمال المطلوب علما وعملا.

٤. العدالة: وهي ملكة في النفس تصدر عنها الأفعال التي يقام بها نظام المدينة والحي بسهولة وتكون النفس كالمجبول على تلك الأفعال. وإذا تمكنت العدالة من الإنسان وقع اشتراك بينه وبين حملة العرش ومقربي الحضرة من الملائكة الذين هم وسائط نزول الجود والبركة في الأرض. فتكون العدالة بابا مفتوحا بينه وبين الملائكة. وإذا أراد الإنسان يمكن له أن يصعد بالعدالة إلى السماء العليا لنزول ألوانهم وصبغهم بمنزلة تمكين النفس من إلهام الملائكة والإنبعاث حسبها.

وفي الباب الخامس منه يبين طريق اكتساب هذه الخصال وتمكين ناقصها ورد فائتها. فقال: «اعلم أن اكتساب هذه الخصال يكون بتدبيرين - تدبير علمي وتدبير عملي. والأول منهما يكون به اكتساب هذه الخصال لأن الطبيعة منقادة لقوى العلمية. وذلك أن يعتقد بأن له ربا منزها ومنعما ومجاز على أعماله إن خيرا فخير وإن شرا فشر. كما قال تعالى في الحديث القدسي: «أذنب عبدي فعلم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب قد غفرت لعبدي»^{٨٧}. والثاني أن يعتقد أن كمال الإنسان

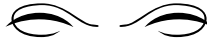
٨٧ الشاه ولي الله الدهلوي: الحجة، ص: ١ / ٥٥

أن يتوجه إلى ربه حق التوجه ويعبده. وأن يجتهد للمشابهة بالملائكة الذين يعملون دائماً ويركعون ويسجدون ويفعلون ما يؤمرون.

ويؤكّد الدهلوي خمسة خصال فنون. وهي عمدة علوم القرآن العظيم. وهي (١) التذكير بآيات الله وبأيام الله (٢) الإنذار والتبشير (٣) بيان خواص البر والإثم (٤) بيان الأحكام من الواجب والحرام وغيرها (٥) مخاصمة الكفار. ويبين بعد ذلك أسباب كل واحد من الخصال الأربع التي يرجع إليها تحصيل الطريقة الثانية. فقال: «أسباب الطهارة إزالة هذه الأشياء (أسباب الحدث) واكتساب أضرارها واستعمال ما تقرر في العادات كونه نظافة بالغة كالغسل والوضوء ولبس أحسن ثيابه واستعمال الطيب فإن استعمال هذه الأشياء تنبه النفس على صفة الطهارة. وأسباب الإخبات مؤاخذة نفسه بما هو أعلى حالات التعظيم عنده من القيام مطرقاً والسجود والنطق بألفاظ دالة على المناجاة والتذلل لديه ورفع الحاجات إليه. فإن هذه الأمور تنبه النفس تنبيهها قويا على صفة الخضوع والإخبات. وأسباب السماحة التمرن على السخاوة والبذل والعفو عمن ظلم ومؤاخذة نفسه بالصبر عند المكاره ونحو ذلك. وأسباب العدالة المحافظة على السنة الراشدة بتفاصيلها والله أعلم»^{٨٨}

وفي الباب السادس منه أورد الدهلوي الحجب المانعة عن ظهور الفطرة. وعدّ ثلاثة منها يعني معظم الحجب. (١) حجاب الطبع (٢) حجاب الرسم (٣) حجاب سوء المعرفة. وبعد ذلك عن معظم الخطأ. وهو شيان الأول أن يعتقد في الواجب صفات المخلوق والثاني أن يعتقد في المخلوق صفات الواجب. فالأول هو التشبيه ومنشؤه قياس الغائب على الشاهد. والثاني هو الإشراك ومنشؤه رؤية الآثار الخارقة من المخلوقين.

وفي الباب السابع يبين طريق رفع هذا الحجب. فقال: «اعلم أن تدبير حجاب الطبع شيئان. أحدهما يؤمر به ويرغب فيه ويحث عليه والثاني يضرب عليه من فوقه ويؤاخذ به أشياء أم أبي. فالأول رياضات تضعف البهيمية كالصوم والسهر... والثاني إقامة الإنكار على من اتبع الطبيعة فخالف السنة الراشدة... وتدبير حجاب الرسم شيئان أحدهما أن يضم مع كل ارتفاق ذكرالله تعالى تارة بحفظ ألفاظ يؤمر بها وتارة بمراعاة حدود وقيود لا يراعي إلا الله. والثاني أن يجعل أنواع من الطاعات رسماً فاشياً ويسجل على المحافظة عليها أشياء أم أبي...»^{٨٩}



الخاتمة

يعتبر شعب الهند من أمة ذات حضارة قديمة. قد مضى فيها أفكار عديدة ذات قيمة. لكن مر الفكر الإسلامي بتجربة فريدة فيها تستحق الدراسة والبحث. إذ خاض فيها صراعا متواصلا مع الفكر الهندي حتى استطاع أن يدعم وجوده في العقلية الهندية يعينها من ناحية على التخلص من الإتجاهات الوثنية. ويمكنها من ناحية أخرى على تصفية فكرتها من كثير من الشوائب الأسطورية.

لا شك أن الفكر الإسلامي الهندي كان أرهف إحساسا بالأخطار التي تهدد مستقبل الحضارة الإسلامية في الهند، إلا أن إدراكه لهذه الأخطار لم يكن من الوضوح والفاعلية بحيث يحث على بذل المزيد من الجهد لرد آثارها السيئة على حياة الهنود الثقافية والاجتماعية. ولكن دور الفكر الإسلامي الهندي لم يقف في هذه المرحلة عند مجرد مناقشة الصحيح والدخيل من مبادئ الإسلام.

وكان الشاه ولي الله الدهلوي أول من شعر باحتضار حضارة الإسلام في الهند، وحمل لواء فكر اجتماعي جديد تشد بعث الحياة الواقفة في حضارة لم تحقق كل أهدافها بعد، فعرض نظريات اجتماعية في ثنايا مختلف مؤلفاته في العلوم الإسلامية وخاصة كتاب 'حجة الله البالغة'. ومن الموضوعات المختلفة التي في الحجة ما له إهتمام كبير هو الأخلاق.

الخلق في اللغة هو ما يأخذ به الإنسان نفسه من الأدب. لأنه يصير كالخلقة فيه. وحسن الخلق قد يكون هبة من الله عز وجل بحيث يولد الإنسان كامل العقل. وحسن الخلق قد يكون مكتسباً بالمجاهدة وحمل النفس على الأعمال التي يقتضيها الخلق المطلوب - مثلاً - ومن أراد أن يتخلق بالكرم والسخاء فعليه أن يتكلف الإنفاق في وجوده الخير ودعوة الناس إلى الطعام وبذل المال للمحتاجين. ويواظب على ذلك تكلفاً مجاهداً نفسه حتى يصير ذلك طبعاً له. فيسهل عليه الإنفاق. فيصبح كريماً جواداً بالتطبع وهكذا في جميع الأخلاق المطلوبة والتي أمر بها الإسلام. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدوة وأسوة لنا فيها. والمتأمل في التكاليف الشرعية يجد أنها جميعاً ليست غايات في حد ذاتها وإنما هي وسائل للوصول إلى غايات. فمثلاً الصلاة يقول الله تعالى في شأنها (وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون).^{٩٠} إذا فالصلاة وسيلة. فالغاية بالصلاة أن ينتهي الإنسان عن الفحشاء والمنكر. فمن لم يكن هكذا بصلاته فقد قصرت به الوسيلة عن بلوغ الغاية. فأمر الصيام لوجدنا قول الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون).^{٩١} فالصيام وسيلة لبلوغ التقوى. وكذلك الزكاة وما هي إلا نوع من التكافل الاجتماعي وإحساس الغنى الفقير وإيجاد التراجم بين الناس والتعاطف، لذا كان المن يعطى الزكاة للفقير مبطلاً لها كما قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى....).^{٩٢} إذًا إن الزكاة لم تصل بصاحبها إلى غايتها وهي الرحمة والأخوة.

٩٠ سورة العنكبوت: ٤٥

٩١ سورة البقرة: ١٨٣

٩٢ سورة البقرة: ٢٦٤

وكذلك جميع الأوامر مثل بر الوالدين وصلة الرحم وكفالة اليتامى وحسن الجوار ومعاشرة الزوجة بالمعروف وإكرام الضيف والعفو والصفح والكرم والأمانة والعدل. وما هي إلا أخلاقيات كريمة. إذ تسبب الصلح وصلاح أفراده للمجتمع. ويعيش بها في سلام ووثام وكذلك جميع النواهي. كالنهي عن العقوق والزنا والسرقه والغش والخيانة والظلم والغيبة والنميمة والقتل والربا والبذاءة والسباب والعداوة وما إلى ذلك. ما هي إلا نهى عن سوء الخلق الذي يفسد ما بين الناس فيفسد المجتمع وتضيع الحقوق وتضمحل القيم.

إن الأخلاق باعتبارها علما مستقلا قائما بذاته لم يلق الحظوة عند المسلمين. وهناك ثلاثة عناوين تتكرر عندهم على وجه ظاهر أكثر من غيرها هي "كتاب الأخلاق" و"تهذيب الأخلاق" و"مكارم الأخلاق". وأول أخلاقي العرب هو ابن المقفع المترجم المشهور لكتاب "كيلة ودمنة". وأهم الأخلاقيين بعده: إخوان الصفا وابن مسكويه والغزالي ونصيرالدين الطوسي صاحب الكتاب المعروف "أخلاق ناصري". فمكان الشاه ولي الله الدهلوي لا يستطيع أن يرد. لأنه كان عالما وفيلسوبا مشهورا وأورد مختلف الأحكام عن الأخلاق في حجة الله البالغة وغيرها من الكتب.

وهو يمثل مدرسة فكرية نهضت بالدعوة إلى الإصلاح لتتخذ ما يمكن إنقاذه من أحوال الأمة المسلمة في الهند من تسلط النفوذ الإنكليزي. فحجة الله البالغة واحد من أربعة وخمسين كتابا عايشته عوامل مهمة كانت سببا في ظهوره. تتقدمها الثورة على الأهواء وعلى الإحتلال الإنكليزي للهند والملوك الضعفاء. ويعتبر الدهلوي رأس العلماء بما قام به من مجهود عظيم في تنبيه المسلمين والحكام إلى الخطر المقبل عليهم. وقد عارض قرار الإنكليز بفصل الملك عن القوة التنفيذية وقولهم "

الخلق لله والمملك للملك والحكم للشركة“. وكان يقول 'إنه لا يتصور وجود ملك مسلم بدون نفوذ إلا إذا تصورنا الشمس بدون ضياء وأن معنى الإمام أن يرعى مأموريه ويقيم العدل بينهم'.^{٩٣}

كان الإمام الدهلوي صوفيا على أنه كان حكيما وفيلسوبا ومؤلفا ومدرسا وناهضا وما إلى ذلك. فهذا الوصف ملائم باعتبار هذا الكتاب. وإن لم يكن صوفيا لما استطاع أن يكتب مثل هذا الكتاب. وكذلك هذا الكتاب يعني حجة الله البالغة جواب ورد لمن ادّعوا بأن الإمام الدهلوي كان سلفيا. بل كان يكرم قوانين المذاهب حق الإكرام.

يشمل هذا الكتاب مئات من النكات واللطائف والتحقيقات النادرة. وهي تثبت على مواضع متفرقة عديدة من الكتاب. ولذلك له مكانة ممتازة فريدة في المكتبة الإسلامية الزاخرة الشريفة.

وقد صدق العلامة شبلي النعماني إذ قال في كتابه 'علم الكلام':

«إن الإنحطاط العقلي الذي أصيب به المسلمون بعد ابن تيمية وابن رشد بل في عهدهما كذلك لم يكن قد بقي أمل - نظرا إلى الإنحطاط العام - في ظهور نابغة يملك القلب البصير والعقل الذكي ولكن أبت القدرة الإلهية إلا أن تتجلى. فاذا بالإمام الدهلوي يولد في العهد الأخير الذي كان الإسلام فيه في محنة وازمة عقلية علمية. وقد تضاءلت امام دقائقه ونكاته مآثر الغزالي والرازي وابن رشد».

ويزيد قائلا: «لم يؤلف الإمام الدهلوي في علم الكلام كتابا مستقلا. ولذلك فلا يناسب عده من المتكلمين. ولكن كتابه 'حجة الله البالغة' الذي كشف فيه عن أسرار الشريعة وحقائقها هو روح علم الكلام ومحوره».^{٩٤}

٩٣ عبد المنعم النمر: تاريخ الاسلام في الهند، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م، ص: ٤١٣-٤١٦.

٩٤ العلامة شبلي النعماني: علم الكلام، ص: ١٠٩-١١١.

وقد قال الإمام الفاضل الشيخ عبد الحق الحقاني في مقدمة ترجمته
لحجة الله البالغة المسماة بـ'نعمة الله السابقة':

«إن الفن الذي ألف فيه هذا الكتاب، لم يؤلف فيه قبله شيء ولم
يدون في مكان. فموضوع هذا الفن هو نظام التشريعي المحمدي من
حيث المصلحة المفيدة وغايته أن يعلم الإنسان بأن احكام الله ورسوله
صلى الله عليه وسلم لا عسر فيها ولا ضيق. ولا تخالف الفطرة السليمة
حتى يطمئن بها الإنسان وينجذب اليها قلبه ثقة منه بأنها احكام توافق
الفطرة وتتبنى عليها ولا يقع بتشكيك المشككين في الشبهات. وحده أنه
العلم الذي تعرف به حكم الأصول الدينية والأحكام الشرعية ومبادئه
جميع العلوم (المتعلقة بالحياة البشرية).

ولمّا نعتبر أهمية هذا الكتاب بالنسبة إلى العلوم الواردة فيه نفهم
أن هذا هو متفرد في كثير من العلوم المبحوثة فيه. مثلاً علوم عن الملائكة
الأعلى والسافل وعلوم عن عالم المثل وكذلك في مباحث دقيقة عن
حقيقة الروح وحقيقة الموت وغيرها.

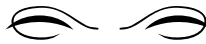
وكان الإمام الدهلوي هو أول صاحب الأسلوب الإسلامي الذي ربط
العدل بالمعاش والمعيشة. وكان له إلمام بطبيعة الإنسان ونفسانيته وهو
يعرف موضع الخلل ويشير إلى الأمراض المزمنة السائدة في المجتمع مثل
الحكيم العارف بأسلوب رصين جيد جذاب.

فيقول الدهلوي في سبب خراب البلدان: «غالب سبب خراب
البلدان في هذا الزمان شيئان. أحدهما تضييقهم على بيت المال.... والثاني
ضرب الضرائب الثقيلة على الزراع والتجار والمتحرفة....»^{٩٥}

٩٥ الإمام الدهلوي: حجة الله البالغة، كتب خانة رشيدية، دلهي، ١٣٧٣هـ، ص: ١ / ١٣٨.

هذه حصلها الدهلوي من حجة الله فيضانا وإلهاما. فلما أراد أن يكتب كتابا عن الأمور الشرعية بعد تقدم وتأخر جاء هذا الكتاب بحمد الله أبرع في الفضل وأرفع في الدرجة وأحسن البيان وأزين العنوان وأبلغ التبيان وأسبغ البرهان وأتم الفرائد وأعم العوائد وأقوى دليلا وأهدى سبيلا وأشد سدا وأحد ردا وأبدر إلى الناظر للإفهام أكثر على المناظر بالإفحام. ويثبت هذا الكتاب دعوات أهل السنة والجماعة وعقائده وأفكاره وآرائه خلافا لمن ادّعوا أنه يبين ما حالف أهل السنة والجماعة. وهذه الحقوق لا تخفى على كل منصف طالعا بالمطابقة وشاهدها بالمرافقة. فانه يدعن بها لكونها كشمس الهاجرة بلا سحاب في الصدق والصواب ويعذر من عداه في ارتيابه لعدم الهداية والدراية ولكون الجزم بحكم الجهل أشد الغواية.

فإن الغاية القصوى لحياة الإنسان في الدنيا هي النجاة في الآخرة وتحصيل السعادة الأبدية. فبيّن الإمام الدهلوي في القسم الأول وكذلك في القسم الثاني من الحجة كيفية تحصيل السعادة الأبدية. وصور وجهين لهذا. أحدهما الإنسلاخ عن الطبيعة البهيمية. والثاني إيراد أربعة خصال يعني الطهارة الكاسبة للنسبة بالملكوت والإخبات لله تعالى الجالب للتطلع إلى الجبروت وسماحة النفس والعدالة. والأسلوب الذي قبلها الدهلوي لبيان هذا الأمر هو بديع وجيّد لم ير بعده قط. وفقنا الله لتحصيل السعادة الأبدية التي بيّنها الدهلوي في الحجة.



المصادر والمراجع

I. الكتب العربية

١. ابن المنصور، لسان العرب، نشر أدب الجوزة، إيران، ١٤٠٥هـ.
٢. الأعظمي، ضياء الرحمان، الاتجاه الادبي لكتاب «حجة الله البالغة» مجلة الجامعة، الجامعة الإسلامية، ملابرم، الهند، العدد الاول - مايو ٢٠٠٦م.
٣. بلاد، شارس (أستاذ الحضارة العربية في جامعة باريس)، رسالة في العلم، بيروت، لبنان، ١٩٧٣م.
٤. البنوري، محمد يوسف (نزيل القاهرة)، النهضة السياسية الإسلامية بالهند ومكانة «ديوبند» فيها- دين، وعلم، وسياسة- حقائق تجب على الأمة معرفتها، الإسلام(صحيفة إسلامية أسبوعية جامعية، العدد- ٢٥) جمادى الثانية ١٣٥٧هـ / أغسطس ١٩٣٨م.
٥. الجائسي، سيد عليم أشرف(معرب)، الإمام الشاه ولي الله الدهلوي- عرض موجز لحياته وفكره، [ترجمة كتاب البروفيسر محمد ياسين مظهر الصديقي الأردني] مركز الشاه ولي الله الدهلوي للبحوث العلمية، معهد العلوم الإسلامية، جامعة عليكرة الإسلامية، فبرائر- ٢٠٠١م.
٦. الجاسر، حمد، قطر الطائف ومؤرخوه، مجلة العرب- مجلة شهرية جامعة، داراليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، الجزء الثاني-شعبان ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م.
٧. الحسني، عبد الحي، الأعلام- نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنوادر، موسوعة للعلماء الهنود، مكتبة دارالعرفات، راي بريلي، الهند، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.

٨. دارج، طه عبد الصمد، والجميلي، طابيس،، التربية الإسلامية- للصف الرابع الثانوي وما في مستواه، الطبعة الأولى، ١٩٧٩- ١٩٨٠م.
٩. الدهلوي، الشاه ولي الله، الإنصاف في بيان سبب الخلافة، لاهور، باكستان.
١٠. الدهلوي، الشاه ولي الله، البدور البازغة، من سلسلة مطبوعات المجلس العلمي- نمبر: ١٧، مطبوعة مدينة برقي برس، بجنور (يوبي)، الهند، ١٣٥٤هـ.
١١. الدهلوي، الشاه ولي الله،، الخير الكثير، دهلي، الهند.
١٢. الدهلوي، الشاه ولي الله،، القول الجميل، لاهور، باكستان.
١٣. الدهلوي، الشاه ولي الله،، حجة الله البالغة، كتب خانه رشيدية، دهلي، الهند، ١٣٧٣هـ.
١٤. الدهلوي، الشاه ولي الله،، سطات، مطبع أحمد، دهلي، الهند.
١٥. الدهلوي، الشاه ولي الله،، طويل الأحاديث في رموز الأنبياء، مطبع أحمد، دهلي، الهند.
١٦. الدهلوي، الشاه ولي الله،، عقد الجيد في أحكام الإجتهد والتقليد، دار الفتح للطباعة والنشر والتوزيع، الشارقة ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.
١٧. الدهلوي، الشاه ولي الله،، فتح الكبير، مطبع العلمي، دهلي، العند.
١٨. الدهلوي، الشاه ولي الله،، فيصلة وحدة الوجود ووحدة الشهود، مطبع مجتبعي، دهلي، الهند.
١٩. الدهلوي، الشاه ولي الله،، فيوض الحرمين، لاهور، باكستان.
٢٠. الرفاعي، الدكتور مصطفى،، من وقوف المنبر، لجنة التعريف بالإسلام، الجمهورية العربية المتحدة، ١٩٦٥م.
٢١. رشدي، ياسين،، من أخلاقيات الإسلام (سلسلة كتب إسلامية-٥)، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م.
٢٢. الزركلي، خير الدين،، الأعلام (الجزء الأول)، دارالعلم للملايين، بيروت، مايو ١٩٨٠م.
٢٣. الزكي، الدكتور عبد العزيز محمد،، الفكر الهندي من الهندوكية إلى الإسلام، مجلة 'عالم الفكر'، وزارة الأعلام، الكويت، يوليو- أغسطس- سبتمبر ١٩٧٥م.
٢٤. السلطان، محمد عبد الله،، مزيدا من فلسفة التشريع الإسلامي، الرسالة (العدد-١٠٨٨)، ١٥ رجب ١٣٨٤هـ / نوفمبر ١٩٦٤م) الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة.
٢٥. السمان، الأستاذ محمد عبد الله،، الكتب- الإمام الدهلوي في حجة الله البالغة، مجلة الأزهر- مجلة شهرية جامعة، الأزهر، القاهرة، رمضان وشوال ١٣٨٣هـ / ١٩٦٤م.

٢٦. عايش، د. بهاء الدين سليم، من وجوه الثقافة العربية في الهند: الإمام ولي الله الدهلوي، مجلة الفيصل-مجلة ثقافية شهرية، السعودية، شعبان ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م.
٢٧. عطية الله، أحمد، القاموس الإسلامي (المجلد الرابع)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧٦م.
٢٨. العوّ، الدكتور عادل، المذاهب الأخلاق عرض ونقد، مطبعة الجامعة السورية، دمشق، ١٣٧٨هـ / ١٩٥٨م.
٢٩. غازي، محمود أحمد، الإمام الشاه ولي الله ودوره في الحركات التجديدية في شبه قارة الهند والباكستان، (الحلقة الأولى والثانية) مجلة 'المنهل'، رجب وشعبان - ربيع الاول والثاني ١٣٩٧هـ / مارس- ابرل ١٩٧٧م.
٣٠. قاسم، عبد الرزاق، منهج الدهلوي بين المصالح والحكمة الشرعية (مقال)، آداب الرافدين، العدد الثامن، شعبان ١٣٩٧هـ / آب ١٩٧٧م، جامعة الموصل.
٣١. محمد، الأستاذ السيد إبراهيم (المدرس المساعد، جامعة حلوان)، في علم أسرارالدين: «الفترة ومناهجها»، دراسات عربية وإسلامية، القاهرة، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٢م.
٣٢. معصومي، الاستاذ أبو محفوظ الكريم (أستاذ علوم القرآن والحديث بالمدرسة العالية بكلكتا، الهند)، مسألة صفات الذاكرين والمتفكرين للسلمي، مجلة 'المجمع العلمي الهندي'، جامعة عليكره الإسلامية بالهند، رمضان ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.
٣٣. الندوي، أبو الحسن علي، الإمام الدهلوي (رجال الفكر والدعوة في الإسلام، الجزء الرابع)، دارالقلم للنشر والتوزيع، الكويت، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.
٣٤. النمر، الدكتور عبد المنعم، تاريخ الإسلام في الهند، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.

II. الكتب الإنجليزية

- 1), **Cambridge History of India**, Vol.4, p.316, Delhi, 1970.
- 2) Ansari, Abdul Haq., **Islamic Ethics: Concept and Prospect**, The American Journal of Islamic Social Sciences (Vol-IV Sep.), America, 1989.

- 3) Ansari, Muhammad Abdul Haq., **Shah Wali Allah's Philosophy of the Islamic Shari'ah**, Islam And The Modern Age (A Journal, Vol. XIX No. 3), Zakir Husain Institutes of Islamic Studies, J.M.I., New Delhi, 1988.
- 4) Bakar, Osman., **The History And Philosophy Of Islamic Sciences**, Islamic Texts Society, Cambridge, 1999.
- 5) Baljon, J.M.S., **Religion and thought of Shah Wali Allah Dihlawi, 1703-1762**, Leiden, E.J. Brill, 1986.
- 6) Danish, Iqbal., **Ethics In Islam**, (A Review about A Seminar Conducted By IOS, New Delhi In Haryana), The American Journal of Islamic Social Sciences (Vol-6, No-1), 1989.
- 7) Edwards, Paul (chief editor)., **The Encyclopedia of philosophy** (V-3), The Macmillan company, New York, 1967.
- 8) Eliade, Mircea., **The Encyclopedia of Religion**, Vol-2, Macmillan Publishing company, New York, 1987.
- 9) Gibb, H.A.R. (chief editor)., **The Encyclopedia of Islam**, (V-1). Lei den, 1967.
- 10) Jaffar, Ghulam Muhammad., **Teachings of Shah Wali Allah And The Movement of Sayyid Ahmad Shahid of Bareilly**, Hamdard Islamicus (a Journal, Vol. XVI No. 4), Hamdard Foundation, Pakistan, 1993.
- 11) Jalabani, G.N., **An English Translation of Sate'at by Shah Wali Allah**, Kithab Bhavan, New Delhi-02.
- 12) Jalabani, G.N., **Life of Shah Waliyullah**, Idarah-I Adabiyat-I Delhi, 2009 Qasimjan ST, Delhi (India), 1980.
- 13) Jalabani, G.N., **Teachings of Shah Waliyullah of Delhi**, SH. Muhammad Ashraf Kashmiri Bazar, Lahore (Pakistan), 1967.
- 14) Kidwai, Prof. Abdul Rahim., **Shah Waliullah Dehlavi-An Introduction To His Illustrious Personality And Achievements**, (Translation of Prof. Mohammed Yasin Mazhar Siddiqui's Urdu book), Shah Waliullah Dehlavi Research Cell, Institute Of Islamic Studies, Aligarh Muslim University, Aligarh, 2001.
- 15) Leaman, Oliver., **A Brief Introduction to Islamic Philosophy**, Blackwell Publications, U.S.A., 1999.
- 16) Legenhausan, Muhammed., **Contemporary Topics of Islamic Thought**, Islamic Culture And Relations Organization, Islamic Studies Dept., Centre for cultural and international studies, Al- Hoda publishers, Thehran, Iran, 2000.

- 17) Mahajn, D.P., **Muslim Rule in India**, Delhi, 1971.
- 18) Muztar, Allah Ditta., **Shah Wali Allah: A Saint Scholar of Muslim India**, n.p. Islamabad (1979).
- 19) Nadwi, Abul Hasan Ali., **Saviours of Islamic Spirit**, Renderd in to English By Mohinddin Ahmed, Islamic Research and Publications, Lucknow, 1971.
- 20) Nasr, Sayyed Hussein., and Leaman, Liver., **History of Muslim Philosophy** (Part I&II), Rout ledge, London & New York, 1996.
- 21) Srivastava, A.L., **Shah Walli-Ullah and the Maratha-Afghan Contest for Supremacy**, Journal of Indian History (Vol- XXIX), Dept of History, University of Kerala, T.V.M, 1971.
- 22) Umarudeen, M., **The Ethical Philosophy of Al-Gazzali**, Aligar, A.M.U, 1962.

